

بشير محمد سعيد

يَتَدَم :

الأستاذ /

**أحمد خير**

عطاؤه ونبله في خدمة السودان

المحامي

من وثائق لجنة الاحتفال باليوبيل الذهبي لمؤتمر الخرطوم

١٩٣٨ ~ ١٩٨٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تمهيد

باسم لجنة الاحتفال بالعيد الذهبي لمؤتمر الخريجين العام (١٩٨٨-٣٨) يسعدنا أن نقدم هذه الصورة القلمية التي أختطها الأستاذ بشير محمد سعيد، مدير عام شركة الأيام للمحافة المحدودة لخياه الأستاذ الكبير أحمد خير صاحب فكرة المؤتمر ومن كبار مؤسسيه .. وهو أيضا صاحب فكرة يوم التعليم، والمهرجان الأدبي، ويوم السودان الرياضي ونود أن ننتهز هذه الفرصة فنرجو للأستاذ أحمد خير موفق المصحة والعافية وأن نسال الله تعالى أن يوفقنا جميعا لترسم خطاه، وأن يجزيه عن السودان وأهله خير الجزاء .

بهمنا أيضا أن نتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ بشير محمد سعيد على إعداد هذا الكتاب الذي نأمل أن يحقق الغرض المنشود منه، وهو أولا الاعتراف بجميل الأستاذ أحمد خير وعظائه وبذله في سبيل بلادنا وهو ثانياً غرس الرغبة في مثل هذا العطاء في نفوس ابنائنا وأجيالنا الجديدة .

سكرتاريه لجنة الاحتفال  
بالعيد الذهبي للمؤتمر

حقوق الطبع محفوظة  
للجنة إحياء ذكرى المؤتمر

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والملاة والسلام على سيدنا محمد

خاتم المرسلين

## مقدمة

تربطنى بالاستاذ أحمد خير صداقة واحترام وود .. وقد اسعدنى ان استجيب لرجاء القاشمين بأمر الاحتفال بالعيد الذهبى لمؤتمر الخريجين العام بأعداد هذه الصورة القلمية له .. وهى ليست ترجمة لسيرته ، ولكنها لقطات سريعة من سجل حياته الحافل . حاولت فيها أن ألخص ما استطعت جانب الموضوعية ..

النا فى السودان نعلم قادتنا وزعمانا بعدم احتفالنا بهم ، والاعتراف لهم بالفضل .. ونعلم أنفسنا وابنائنا بأحجامنا عن ربطهم بأصولهم وجذورهم ، وتقديم القدوة الصالحة لهم من منجزات قاداتهم ، وعطائهم الشر للوطن ، وجهادهم فى سبيل حريته وعزته وتقدمه .. وقد آن لنا أن نقلع عن هذه العادة الفارة التى تقعد بنا .. وأن نقبل علم سير البارزين من زعمائنا وقادتنا فنسجلها ، ونعدد فيها منجزاتهم وعطائهم .. فنفسوس فى نفوس ابنائنا الرغبة فى البذل والعطاء ،

ان فكرة مؤتمر الخريجين العام الذى كان طليعة النضال والحركة الوطنية صدرت عن الاستاذ أحمد خير .. وتوالى بعدها عطائهم بلا انقطاع . وانى اذ احببته فى هذه الذكرى العطرة ، واحببى العمالقفة من زملائه ، اسأل الله تعالى أن يجزيه عن السودان خير الجزاء ، وأن يوفقنا جميعاً لعزم خطاه فى خدمة هذا الوطن العزيز ، انه نعم المولى ونعم النصير .

بشير محمد سعيد

فبراير ١٩٨٨



الأستاذ /  
أحمد زهير الحمّامي

## الفصل الأول

### المولد والمنشأة

في قرية فداسي العامراب ، الرابضة على شاطئ النيل الأزرق جنوب واد مدني ، وفي يوم مشرق الوجه ، غليل الهواء ، من عام ١٩٠٤ رزق محمد أحمد خير بابنه الأكبر ، فأسماه أحمد تيمناً باسم أبيه ، على عادة أهل السودان في ذلك الزمان . ولم تكن فداسي - مسقط رأس الوليد - موطناً له ولا لأسرته . ولكنها ظروف العمل ألقت بهم ، عابري سبيل أول الامر ، ثم مقيمين . فيها ، اذ كان جده لأبيه جندياً خلال الحكم التركي المصري في كتيبة يقودها صالح باشا الصك ، معظم أفرادها ، وجد الوليد منهم ، ينتمون الى قبيلة الشايقية التي اشتهرت بالشجاعة والفروسية وعدة البأس ، وبالولاء الديني للسلادة الميرغلية ، ومسايرتهم في رفض دعوى المهدية ومبادئها وتعاليمها . وكان الحكم التركي المصري قد بسط سلطانه على السودان بعد السيف في عام ١٨٢١ بعد أن صرع دويلاته في معارك مشهودة استبسلوا فيها أروع ما يكون الاستبسال . وظل يخضع البلاد لأرادته ، وسوء ادارته ، حتى هبت في وجهه الثورة المهدية في عام ١٨٨١ بقيادة الامام محمد أحمد المهدي فأقفلت مضجعه أول الامر ، ثم اجهزت عليه ، وحسرت السودان من قبضته في عام ١٨٨٥ .

كان صالح الصك وجنده قد حثوا الخطى مسرعين من منطقة الروصيرص في جنوب الفونج الى الخرطوم ، ليسهموا في فك الحصار الذي أحكم به الامام المهدي قبضته على العاصمة ، وكعم انفاستها ، وأنهلك اهلها بالجوع والبلع . وكان الباشا في زحفه ذاك يقاتل من يعترض سبيله من امراء المهدية وجنودها . وكان الامام المهدي قد بحث بصهره محمد البصير الى منطقة الجزيرة ليحمل له فيها على البيعة من الاعليين قنطاب له البقاء بين الخلاويين حتى يلفه نبأ معركة شيكان التي حصد فيها الامام المهدي ورجاله جيش الأعداء بقيادة هكس باشا حمداً ،

وجاءه في أرض المعركة عبد الله الشيخ حمد النيل ، شيخ العوكيين فرأى حراز ، وعبد الله ود البحر ، شيخ الكواهلة في وسط الجزيرة، كل منهما أمير من قبل المهدي على قومه .. وكان الامام المهدي قد عين أيضاً عبد الله (باشا) أبوسن أميراً في رفاة ، والطبيب حمدون ، ناظر الجعليين ، أميراً في المسلمية فليبيا الدعوة والنداء ، وانضموا إلى محمد البصير أو تظاهروا بالانضمام .

ولما ترامت هذه الأنباء إلى صالح الملك زحف على محمد البصير في قوة قوامها ألف واربعمائه مقاتل من الشايقية ، كلهم مسلحون بالأسلحة النارية ، وقرب مدني تصادمت القوتان .. فقتل من رجال المهدي خمسة مائة رجل ، وكان النصر للبasha . وأسرع الخطي إلى فداسي حيث حفر خندقاً تحمّن فيه . وما هو إلاّ وقت قصير حتى جمع محمد البصير شتات جيشه ، وتبها لمعركة أخرى مع البasha في خندقه . ومرة أخرى خسر المعركة . وفقد من رجاله ألف مقاتل مقابل أربعة عشر رجلاً من أعدائه . ومع هذا فقد اختلف الأمر وتغيرت الصورة عندما علم البasha بنهاً سقوط الخرطوم ، وبمقتل غردون باشا .. فبقى من جنوده ورجاله في فداسي من بقي ، وارتحل منها من ارتحل . وكان الجندي أحمد الخير - جد الوليد - فيمن بقوا فيها .

وفي تلك القرية الوداعة طاب للأسرة المقام بفضل كرم الشيخ حمد النيل واربحيته ، وما كانوا يحصلون عليه من رزق يضربون فسي الأرض بحثاً عنه . وكان والد الفتى - محمد أحمد خير - يعمل مع التجار في تهريب بضائعهم من شمال سنار إلى قلب الجزيرة في غفلة مسن رجال المهدي وعبونها .. اذ كانت قد فرضت على ترحيل البضائع قيوداً صارمة .. واتاح له هذا العمل أن يتعرف على القرى والبنادر ، وأن يلتقي بأهلها ويعقد صداقات معهم . وظل هذا شأنه حتى تسم فتح السودان من جديد ، وأعلن فيه قيام الحكم الثنائي تحت أمرة اللورد كيتشر باشا . قائد حملة الفتح ..

وتراعى اليه نياً عزم الحكومة على انشاء مركز للشرطة فى واد مدنى فرغب فى الالتحاق بخدمته ، وسعى فعم قبوله . وانتقل الى واد مدنى تاركاً أسرته ، أول الأمر ، وراء ظهره فى فداستسى ، حتى اذا ما نقل الى سنجة ليعمل فيها ، ادركت به . وكانت سنجة حينذاك بلداً قفراً صغيراً ، يعيش فيه سلاله الفونج من أهل المنطقة ، وأفراد بعض القبائل العربية ، وبعض القبائل التى كانت موالية للمهدية ، ممن قررت الحكومة الجديده تبديد شملهم وتشتيتهم .

وفى سنجة سكن الرجل وأسرته فى بيت من هذه البيوت التى تعدها الحكومة لرجال شرطتها ، مشيد من الحطب والقش مما يسمونها القطاطى . وكانت معظم المساكن هناك من هذا الطراز . وكان الرجل وأسرته سعداء فى موطنهم الجديد ، يحيط بهم ذوهم من رجال الشايقة الذين نزحوا الى هناك سعياً وراء الرزق ، ويستمتعون بالامتيازات القليلة التى كانت تجود بها الحكومة على الشرطة . دارهم مفتوحة لاستقبال الضيوف ، وأباذهم ممدودة بالعون مسسمن القليل الذى يملكون ، للمفقراء والمساكين .

وكان الرجل قد تتلمذ أول الامر على السادة الادارة من مشايخ الطرق الصوفية ، ولكنه نزع عن نفسه ذالك الولا فيما بعد تحت تأثير الشريف يوسف الهندى ، الذى كان يحتل مركز الزعامة الدينية الثانى فى البلاد . وكان الرجلان قد التقيا فى قرية النواره من أعمال القصارف فاشتلف قلباهما ، ونمت بينهما أواصر الود والصداقة والاحترام . وما هو الا وقت قصير بعد هذا اللقاء حتى انخرط صاحبنا فى صفوف الطريقة الهندية . وازدادت عرى المودة بين الرجلين قوة مع الايام ، فاقرن الشريف بابنة صاحبه وتلميذه ، فانجب منها الحسين وزين العابدين فى من انجب . وكان الشرطى محمد خير يؤدى واجبه فى كفاءة وامانة وصدق ، ويصيب فيه العرقى حتى أصبح ضابطاً مرموق المقام .



وأما الفتى أحمد سنيته الأولى في سجة ينعم بحنان أسرته وعطفها ، حتى إذا ما بلغ سن السابعة ألحقه أبوه بالكتاب ، أو المدرسة الأولية فيما أسموها بعد ذلك ، وكان له من الأخوة على الذي يصفوه بعام واحد ، ويوسف ، واختان تكبرهم جميعاً . وكان على التلاميذ أن يمضوا في الكتاب خمس سنوات ، اثنتين منها في المرحلة التحضيرية وما بقي في الدراسة الأولية . ولم يكن قد اتيح للفتى قبل ذلك أن يدخل الخلوة لتعلم مبادئ القراءة والكتابة ، وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم ، على عادة الناشئة في ذلك الوقت .

وأكمل دراسته الأولية ، وكان ذكياً حذقاً . فاختير مع قلة من زملائه التلاميذ للذهاب إلى الخرطوم ليجلسوا فيها لامتحان اللجنة الذي يفتح لمن يجتازه بنجاح أبواب الدراسة الابتدائية ، أو أسموها الوسطى فيما بعد . واجتاز الامتحان بنجاح . وفي المدرسة الابتدائية التقى بزملاء جدد وفدوا من مناطق مختلفة - من النيلين الأزرق والأبيض وغيرها - على حسنى وزين العابدين الطيب ومحمد أحمد ابورنات ونمر نمر ، وأحمد رحمة الله حامد ، والزبير حمد الملك ، ومحمد أحمد عبد القادر . عشرين أو خمسة وعشرين في فصل دراسي واحد . واتيح له أن يسكن في الداخلية ، ويخضع لنظامها الصارم الدقيق . يستيقظ في الصباح الباكر فيسـُـوي الصلاة ، ثم يقبل على الألعاب الرياضية - الجمباز - ويمضي بعد ذلك إلى فصل الدراسة بعد تناول افطار ادامه عدس أو فول ، وخبزة كسرة الذرة تمدها للتلاميذ العوالات .

ولم تكن سلطات المدرسة لتأذن لتلاميذها بمغادرة الداخلية في عطلة آخر الاسبوع إلا بموافقة ولاية أمورهم . وكان لحسن حظه قد حصل على هذه الموافقة مما أتاح له أن يمضي عطلته في دار الشريف يوسف الهندي في برى ، يحيطه خلالها برعايته وعطفه . وكان الفتى يتلو على الشريف ، متيأنض الضيوف والمريدون من حوله -

وما كان أكثر ضيوفه ومريديه - الصحف التي كانت تمدّه بهـ  
الحكومة ، فيتعرف منها على انباء الحرب العظمى ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) .  
وكان الفتى خلال أيام الأسبوع في مدرسته يمضى وقت الفراغ في لعب  
الكرة مع زملائه ، ويشترك في الالعاب الرياضية الأخرى كالجسرى  
والسباق والقفز وما إليها . وكانت الرياضة جزءاً لا يتجزأ من  
المنهج الدراسى ، والتربية هى التربية العقلية والروحية والجسمية .

وكانت الخرطوم فى ذلك الزمان مدينة صغيرة، جعلتها الحكومة  
مقرّاً لدواوينها ، ومقاماً للعاملين فيها من الانجليز . . . وكسان  
يقطنها غير هؤلاء ، الموظفون من الأجناس الأخرى الوافدة إليها من  
مصر والشام ، ويقطنها أيضاً الأجانب من التجار ورجال الأعمال . .  
شوارعها منسقة نظافة ليلاً بمصابيح الجاز أو الشموع ، وتظللها  
نهاراً الاشجار الباسقة الخضراء . . وكانت تربطها بأمر درمان - مقر  
الاهليين ومركز التجارة ، معدية تقل ركابها عبر النهر . . ولم تكن  
قنطرة النيل الأبيض التي بناها الآن قاشمة قد تم تشييدها الا فى عام  
١٩٢٧ . وكان يخرق شوارع الخرطوم الرئيسية عندما كان صاحبنا فى  
المدرسة الابتدائية ، ترام بخارى يسمونه " السمع " . . وتكثر فيها  
العربات التي تجرها الخيول - الحناطير ، كما تكثر الجمير التي  
تقل الناس من مكان لآخر بأجور زهيدة ، يقف معها أصحابها فى  
زيهم المميز لهم ، يحملون كرابيجهم فى ايديهم ، يلوحون بها فى  
الهواء ، وهم ينادون الفرنجة لركوبها فى لغة انجليزية ركيفة :-  
Donkey me ride you, Khartoum Palace, Piastre Two

وهذا معناه :

اركب حمارى الى سراى الخرطوم ، وانفخنى قرشين .

ولم تكن الخرطوم فى ذلك الزمان قد عرفت السيارات، ولا الدراجات  
أو البصات من وسائل النقل التي تزحم شوارعها اليوم . وكانت  
مدينة نظيفة بفضل اقبال المسئولين عن الخدمات الصحية فيها على

أداء واجبهم ، رغم قلة الموارد ، لم تكن فيها دور للسينما أو  
اللهو ، جامعها الكبير يرتاده الناس لأداء الصلاة ، حتى إذا مما  
فرغوا من صلاة العشاء انصرفوا الى بيوتهم ، لينعموا فيها بنوم  
هاسئ طويل .

وكان عدد المدارس الابتدائية في السودان كله حينئذ لا يتجاوز  
عشراً ، التعليم فيها بالمجان ، وأساتذتها خليط من المصريين  
والسودانيين .

ومن المدرسة الابتدائية انتقل الفتى الى المدرسة الثانوية - كلية  
غردون التذكارية . وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة في البلاد،  
انشئت عام ١٩٠٢ على اثر نداء وجهه لورد كتشير لقومه ليجودوا  
بالمال لانشائها ، تخليداً لذكرى غردون باشا ، الذي كان قد اغتاله  
جنود الامام المهدي عام ١٩٨٨٥ ، يوم فتح الخرطوم .

وفي الكلية عاش أحمد في الداخلية كما كان يفعل في المدرسة  
الابتدائية . وكانت نفسه قد راودته أول الامر، أن يلتحق بالمدرسة  
الحربية ، ولكن ذلك لم يتحقق له فاتجه نحو الكلية عى كره منه ،  
ليواصل فيها تعليمه ومرة اخرى راودته نفسه أن يتمرّد عليها ،  
وينتقل منها الى مدرسة المأمير . ولكنه قبل أن يقدم على هذه  
الخطوة كانت تلك المدرسة قد انقلبت ابوابها ، على اثسائر  
المظاهرات التي احتاحت البلاد استنكاراً للحكم الأجبي ، والتي  
كانت تنظمها جمعية اللواء الأبيض بقيادة البطل علي عبد اللطيف، وكانت  
تلك الجمعية ترفض الاستعمار الانجليزي وتقارمه ، وتتبنى شعسارات  
الثورة المصرية . وكان صاحبنا قد عاصر بعد ذلك، وهو في سن تسع  
النهائية بالكلية، ثورة ١٩٢٤ ، وألم بأساء الثورة المصرية مما كان  
يقرؤه في الصحف التي يعثر عليها في دار الشريف يوسف الهنسيدي ،  
ويطرب ويهتز لما يجده فيها من هجوم على الادارة الانجليزية .

والاستعمار . وكان بعض زملائه ومعاصريه من التلاميذ قد انخرطوا فى جمعية الاتحاد ، وهى جمعية سرية تهى النفوس للثورة على الاستعمار الاجبى ، وتعد الشباب وتزوده بالعلم والسعفة ، لبلوغ تلك الغاية الشريفة . وكان من أعضاء تلك الجمعية من التلاميذ الذين عاصروهم صاحبنا ، شفيق مينا ابن دفتته ، وتوفيق البكرى ، الذى بعثت به الجمعية الى مصر ليكمل تعليمه فيها، ويمضى فيما بعد حياته بها ، ويصدر عدداً من الكتب فى تاريخ السودان ، ومنهم المهندس محى الدين جمال أبو سيف وغيرهم . وهى الداخلية التى كانت تأويه مع زملائه ، أمضى الدرديرى أحمد أسماعيل - رعيم حزب وحدة وادى النيل فيما بعد - ليلة سفره الى القاهرة لمواصلة دراسته فيها هرباً من سحر الاستعمار .

واتاحت الكلية للطالب أحمد أن يمارس هوايته المفضلة ، لعب كرة القدم . وكان لاعباً ماهراً مقداماً . - نال جروب (الكمبائس) فيها كأسوا يسمونه وهو يمنح لحيرة اللاعبين تقديراً لهم . وبازل مع زملائه لاعبي الفريق الأول من طلبة الكلية ، فريق الدفاع فى مباراة شهيرة شهدها آلاف مؤلفة من المواطنين . وكان للكلية حينذاك مسرح ذو مدرجات تقام فيه الليالى الأدبية ، وتلقى القمائد الشعرية وتقدم المسرحيات . وكان صاحبنا يجد لذة لا تدانيها لذة فى متابعة هذا النشاط أو الاشتراك فيه .

## الفصل الثاني

# أعمل في دواوين الحكومة

وفي أول يناير ١٩٢٥ عند اكتماله لدراسته، وتخرجه من الكلية عين موظفًا في حكومة السودان بمرتب شهري قدره ثمانية جنيهات، كان حظيه منها أجر مناولته أياها لوالده في سنجة، حيث عمل أول عهده بالخدمة كاتبًا في مركزها . وكان هذا المرتب بمقاييس ذلك الزمان ثروة طائلة، وحسبنا أن نشير في هذا الصدد أن ثمن الثوب الرفيع الشأن للمرأة كان أربعين قرشًا مصريًا، في ذلك الوقت ، وثمن طاقية الدبلان ذات الأربعين ياردة خمسة وعشرين قرشًا ، وثمن طن الاسمنت المستورد مائة وخمسين قرشًا ، وأفة اللحم قرشين ، والخروف السمين خمسين قرشًا، ورأس السكر سبعة قروش، وعلى هذا فقس . وكانت مطالب الناس محدودة . نفوسهم عامرة بالثقة والایمان ، وتعلقهم بالمثل العليا عظيم، يعطون بأيديهم اليمنى ما لا تعرفه الأيدي اليسرى .

وظل صاحبنا في سنجة ثلاثة أعوام . وفتح له عمله في مركزها أن يتعرف على مشاكل المنطقة ، ونشاط الإدارة فيها ، وأن يرقب عن كثب تنفيذ السياسة التي تختطها الخرطوم - العاصمة - أو يبحث بها مدير المديرية من سائر لمفتشيه . وكان يدير المراكز في ذلك الوقت مفتشون بريطانيون ، يساعدهم مأمير وبواب مأمير مصريون - أول الامر - سودانيون بعد ثورة ١٩٢٤ التي اندلعت بسبب ابتعاد الجيش المصري والموظفين المصريين من السودان، عقاباً لحصر على مقتل سير لى ستارك، سردار جيشها وحاكم السودان العام ، في أحد شوارع القاهرة . وكان صاحبنا يزجي اوقات فراغه في سنجة ، وهو شاب في مقتبل العمر ، في القراءة والاطلاع ، مما ساعده على تجويد لغتيه العربية والانجليزية ، وكان له أحسن الأثر في توسيع مداركه ، واثراء ثقافته . وكان أيضاً

يمارس الرياضة في ميادين الكرة والغروسية بركوب الخيل .. لا يشرب  
الخمر ، أو يمارس الفجور .. يؤدي واجباته الدينية على حير ما يكون  
الأداء ثم نقل الى الروميص .

ومن الروميص نقل الى كلية غردون في الخرطوم ، مدرساً في قسم  
اعداد الكتبة .. وهناك التقى بجماعة من الأبروفيين ، واسعدت له معهم  
أوامر الود والصداقة .. حسى أحمد عثمان ( الكد ) .. ومكاوى سليمان  
أكرت .. وكنا قد اشتهرنا بشدة الذكاء ، وسعة الاطلاع ، وقوة البيان .  
واتيح له أيضاً أن يتعرف فيما بعد على ابراهيم يوسف سليمان ، وخضر  
حمد ، وابراهيم عثمان اسحق ، وعبد الله ميرغنى، واسماعيل العنابنى  
من شباب ذلك الزمان .

بحدثنا الأستاذ خضر حمد في مذكراته عن الحياة العامة حينئذ  
فيصف نادى خريجي مدارس السودان بألم درمان بأنه كان مكاناً للقاءات  
والتسلية لا يملح لعمل حاد ، أبوابه مفتوحة لكل خريج ، أو لمن نال  
تعلماً فوق مستوى الكتاب ، لهذا كان الناس يلتقون، ولا على أساس  
فكرة أو مبدأ .. بينهم المنافقون والمخبرون ، ممن لا تشغلهم العائى  
والمظالم التى تقع على المواطنين حولهم .

وبمضى فيقول :-

كان هناك رجال آخرون ، حديثو العهد بالتخرج ( من الكلية )  
وآخرون قدامى يسعون لاصطياد الشباب للعمل الجاد ، وتوجيههم  
الوجهة السياسية الرشيدة ، فانضموا اليهم . وكان بيننا ابراهيم يوسف  
سليمان ، وعبد الله ميرغنى .. وكان قد سبقنا فى الانضمام الى هيئة  
الجماعة مكاوى سليمان أكرت ، وحس أحمد عثمان ، وأحمد خير ،  
و عوض الله محمد مرســــــــــــــــال .. وكان لقاؤنا بهــــــــــــــــده  
الجماعة أول الامر فى منزل الدكتور على خير ( شقيق صاحبنا السدى  
نسرد طرفاً من قصة حياته فى هذه الصفحات ) . وكان غرض هــــــــــــــــذه

الجمعية هو توجيه نشاط الشباب الى العمل السياسي السافر ———  
الاستعمار .

واضطر صاحبنا أن يتحرك عمله في كلمة غردون بسبب علة ألت به ،  
وأقعدته من العمل بعض الوقت . ثم نقل ، عند بلوغه الصحة والعافية ،  
للعمل في مكتب السكرتير الإداري بالخرطوم . ولكنه ملّ الحياة فسي  
هذه المدينة ، وضايق بها فسعى للنقل منها . وكان له ما أراد ، وقسم  
نقله الى رئاسة المديرية بواد مدني ، فظل بها ثلاث سنوات ، أول الأمر  
كاتباً في مكتب قسّدان الشرطة ، ثم في مكتب معتمد منطقة الجبيرة .  
وكان هذا المعتمد يتمتع بسلطات تفوق سلطات المفتشين الآخرين ،  
ومنطقة نفوذه تمتد من حدود الخرطوم الى سنار ، يشرف على شؤون  
المرابعين وأعمال الري . وكان مدير المديرية قد خوله كثيراً ممسّس  
السلطات التي تمكنه من التدخل في اختصاصات المفتشين الآخرين ، مما  
أثار غيرتهم منه . وكان يمضي معظم وقته خارج المكتب ، بل خسارج  
رئاسة المديرية ، في طواف مستمر . وكان له يومان فقط كل أسبوع  
يمضيها في مكتبه ، يصرف حلالهما اعماله ، ويستقبل كبار الروار من  
موظفي شركة السودان الزراعية . وكاست الملفات تنقل له في مكتبه  
حيث يتخذ حولها من الاجراءات ما يتطلبه الأمر خلال الليل ، ثم  
يبعث بها الى المكتب في الصباح . وكان صاحبنا يرمق هذا الاهتمام  
بالعمل ، ويتزود منه خبرة تفيده في مقبل أيامه . ليس ذلك فحسب  
بل مكّنه العمل مع هذا المعتمد من الالمام بمشروع الجبيرة ، والتعرف  
على كثير مما كان يجهله عنه . ومكّنه أيضاً من مراقبة هـــــــــــــــــؤلا  
الموظفين البريطانيين وهم يمدون التقارير السرية التي تشتمل على سير  
واقية لكل رجل ذي شأن في المجتمع . وكانوا يحرضون ألاّ يطلع على  
هذه التقارير أحد غيرهم . ولكن يد صاحبنا كانت تمتد اليها كلما  
واتته الفرص .

وكان خوان سار الذي اشىء على الميل الأزرق لرى مشروع الجزيرة

الذى قرر الحكم الثنائى انشاءه لانتاج القطن طويل التيلة، معا كانت تحتاج له مزارع الغزل والمسيج فى بريطانيا ، قد تم افتتاحه فى يناير ١٩٢٦ والأستاذ أحمد حديث عهد بالخروج ، يعمل كاتباً فى مركز سبعة . وكان زملاؤه من الموظفين وغيرهم من المواطنين المستعمرين فى سبعة يقبلون الرأى فى هذا المشروع الجديد ، الذى حملت حكومة السودان لانشائه على قرض بضمان الحكومة البريطانية ، ويتجادلون حوله . وحول النتائج التى تترتب عليه . وأثره على حياة المواطنين من أصحاب الأرض التى يقوم عليها ، ومن المزارعين الذين كانوا يستغلونها لانتاج الدرة وتربية الماشية . وكان الانجليز قد رسموا الخط لانشاء هذا المشروع قبل اندلاع الحرب العظمى فى عام ١٩١٤ ، ولكنهم أرجأوا التنفيذ بسبب اندلاع تلك الحرب . وقد بدأ المخطط الجاد لانشاء الخزان ، وحفر العرع الرئيسية والفرعية فى عام ١٩١٩ ، بعد انتهاء الحرب مباشرة . وكانت خطتهم أول الأمر أن يزرعوا ثلثمائة ألف فدان فى هذا المشروع ، وعلى نظام الدورة الذى يقتضى بأن تزرع ثلث المساحة قطعاً كل عام ، ويترك ثلث آخر بمحاصيل غذائية كالذرة واللوبيا ، ويترك الثلث الأخير بوراً ضماناً لخصوبة التربة ، وميانة لها .

وكان الأهليون يستغلون أرض الجزيرة قبل قيام المشروع فى انتساج المحاصيل الغذائية المطرية . واقتضى قيام المشروع أن تجرى الحكومة عليها تسوية وأن تمسحها ، ففعلت . وقسمت الأرض بعد ذلك الى حواشات، مساحة كل منها ثلاثون فداناً ، ورعتها على المزارعين، مراعية - ما أمكسها الامر - منح كل واحد منهم حواشته فى المنطقة التى كان يستغلها قبل قيام المشروع . وقررت أيضاً أن تدفع لأصحاب الأرض ايجاراً رمزياً مقابل ادراجها فى المشروع .

وكانت قد أصدرت فى عام ١٩٢٠ اعلاناً أوضح فيه أنها تعزم أن تروى مساحة قدرها ثلثمائة الف فدان من خزان سمار . وجاء فى ذلك



الاعلان أنها تعزم أن تستأجر المساحات التي تحتاج لها في الأعمال  
الزراعية ، وأن تشتري المساحات التي تحتاج لها في أعمال دائمة  
كالقنوات والترع والعباسي . وأوضح الاعلان أيضاً أن الإيجار السنوي  
يسرى لفترة أربعين عاماً ، ولكن الحكومة تحتفظ لنفسها بالحق في مد  
هذه الفترة اذا ما اقتضت الضرورة ، أو المصلحة العامة ذلك . وقالت  
ان أصحاب الأرض ينالون أفضلية على غيرهم في الحصول على الحواشات .  
وجاء في الاعلان أنه يسمح للمزارعين أن يزرعوا كميات وافرة من الذرة  
بالإضافة الى القطن - لاستهلاكهم واستهلاك أسرهم .

وفي عام ١٩٢١ ضمن هذا الاعلان في قانون سمي قانون أراضي الجبيرة ،  
فيه تحدد الإيجار السنوي للحداد الواحد بعشرة قروش ، وثمن الحداد  
في الأرض التي تحتاج لها الحكومة في شق الترعة أو إنشاء العباسي بحسبه  
واحد

وتقرر أن يقوم المشروع على أساس شراكة بين حكومة السودان ،  
وشركة بريطانية اسمها شركة السودان الزراعية ، والمزارعين . وكسبان  
على كل من الشركاء الثلاثة مسئوليات محددة ، ولهم حقوق محددة  
أيضاً . كانت الحكومة مسئولة عن دفع نفقات الأعمال الكبرى ، وعن  
حفر الترعة الرئيسية ، وكانت الشركة مسئولة - تحت إشراف الحكومة  
عن حفر الترعة الصغيرة أو الفرعية ، وعن إدارة المشروع ، وتمويل  
المزارعين ، ومسئولة أيضاً عن حلق القطن وتسويقه ، والإشراف على  
العمليات الزراعية . وكان المزارعون مسئولين عن إنجاز العمل الزراعي ،  
وبطاقة الأرض ، وتوفير العمال ، ولقيط القطن . وكان من المقرر أول  
الأمر أن تقسم الأرباح الباقية عن بيع القطن بين الشركاء الثلاثة ،  
للمزارع أربعون في المائة منها ، ولشركة خمسة وعشرون في المائة ،  
وللحكومة خمسة وثلاثون في المائة . ولكن هذه الأسس عدلت فيما بعد  
فارتفع نصيب الحكومة الى أربعين في المائة ، وانخفض نصيب الشركة  
الى عشرين في المائة . وبفضل هذا الأسلوب أصبح المزارعون في مشروع

الجزيرة شركاء لا احرار . وكان لهم كل عائد المحاصيل الأخرى عـبر القطن .

وكان من الشحميات البارزة التي اوعزت لحكومة السودان أن تتعامل مع الشركة ، سير جيمز كرى ، الذى كان أول مدير للمعارف فى السودان عند قيام الحكم الثائى فى عام ١٨٩٨ . وكان قد عين عقب الحرب العظمى رئيساً لمؤسسة الامبراطورية البريطانية لزراعة القطن ، التى انيط بها مسئولية زيادة انتاج القطن فى المستعمرات البريطانية لتقليل اعتماد صناعة الغزل والنسيج فى بريطانيا على القطن الأمريكى . وكان جيمز كرى مسئولاً الى حد كبير عن تأليف المجموعة التى كوست شركة السودان الزراعية . وكاست الحكومة البريطانية قد ضمت حكومة السودان فى اعقاب ١٩١٩ فى قرض قدره ستة ملايين من الجنيهات لتمويل أعمال التعمير فى الجزيرة ، بما فى ذلك تشييد الخزان . وقد عهد بأعمال حفر الترع الى مصلحة الري المصرية التى كان يشرف عليها خبراء انجليز . وفى عام ١٩٢١ اكتشفت الحكومة أنه - رغم انفاق القرض كله تقريباً - لم ينجز من العمل المنشود الا نصفه ، مما اضطر الحكومة البريطانية لطرح المتبقى منه فى عطاءات . وحصل السودان على قرض جديد بضمان بريطانى أيضاً لاكمال العمل ، وبهذا امكن انجازه فى عام ١٩٢٥ ، العام الذى تخرج فيه الاستاذ أحمد خير من كلية غردون التذكارية ، وعين موظفاً فى مركز سنجة . على بمسند اميال قليلة من موقع الخزان الحديد .

وكان كثير من الشباب السودانى المستنير ، وصاحبنا الذى نسموه سيرته منهم ، يتشككون فى نوايا الانجليز ، ويرون فى برعهم لأراضى الناس فى التجربة لتنتفع منها الشركة البريطانية ظلماً فادحاً ، واستغلالاً بشعاً . وقد اشاروا الى هذا كله الى المشورات التى كانوا يصدرونها فى مستهل العشرينات .

ويعلق على افتتاح الخزان ، وقيام المشروع ، ومحال القطن فيه

الدكتور محمد حسن هيكل ، رئيس تحرير جريدة السياسة المصرية  
عند قيام الخوان ، ورئيس حزب الاحرار الدستوريين المصري فيما بعد ،  
بل ورئيس مجلس الشيوخ في العهد المصري الملكي ، يعلق في كتابه  
الذي اسماه عشرة أيام في السودان ، فيقول :-

" ليس عجباً أن تمتد يد الحضارة ل تقم في هذه الواحي الياضية  
هذه الآلات الضخمة العظيمة ، التي أتى بها من اجلئرا على متون  
البحار قطعاً ، وها هي دي تدور الآن لتحلج مئات القناطر ، وتقدم  
لمئات السودانيين عملاً كانوا في غنى عنه بقناعتهم بعيش البدوة  
السهلي . ولكن اجلئرا يجب أن تتعدى بالقطن ، ل يسال عمالها  
واشراؤها أكبر حظ يريدون سوائه من المتاع بالحياة ، فيحب لذلك أن  
يخرج أهل السودان ، وغير أهل السودان ، على ما ألفوا منذ مئات  
السنين ، وأن يسجوا القطن وغير القطن كارهين لهذا المجسود أو  
قيامهم به .. "

## الفصل الثالث

### من واد مدني إلى كسلا

من واد مدني ، التي بقي فيها أحمد خير أربع سنوات ، أقبل خلالها على الاطلاع والقراءة على نحو ما كان يفعل في الخرطوم ، ويمارس الرياضة البدنية نقل الى كسلا في شرق السودان ، وكان ذلك في عام ١٩٢٤ ، وكان لم يزل في مقتبل العمر . يصفه صديقه الذي زامله في تلك المدينة السيد محمد عثمان يسى بحدة الذكاء ، واتقاد الذهن ، ورافقة اللسان . يقبل على اللغتين الانجليزية والعربية فيلتهم في شعره كل ما تمتد اليه يده مما يكتب بهما ، ويجعل يادي الموظفين هناك مسطوقاً للنشاط الرياضي ، والاجتماعي ، والشقاقي ، ويدخل في كسلا لأول مرة - الأدب الاشتراكي الذي كانت تعكسه المجلات والكتب المادرة عن جماعة الفابيين الانجليزية ( FABIANs ) وكان بالإضافة الى هذا يقبل على عمله بمكتبه في اهتمام عظيم ، ويحرص على قراءة كل ما تقع عليه يده من ملفات فيه . حتى خاطبه ذات يوم صديقه دكتور عيسى باحريه ، طبيب المستشفى ، وقد كان شاعراً ، خاطبه قائلاً :

أحمد الخير والأيام مقبلة<sup>٢</sup>  
مالي أراك غريباً في الدوسيات  
تسمى وتصبح لا (جياً)<sup>(١)</sup> لقببت  
ولا (الاً) ولا حتى المسلاوات

وعقد صداقات قوية مع سواة المدينة وزعمائها ، وفي مقدمتهم السيد الحسن أحمد المبرغني زعيم الطاشفية الختمية في تلك المنطقة . وكان يبحث اصدقاءه على القراءة والاطلاع .

وحاول أحمد خير وهو في كسلا أن يلتحق بمدرسة الحقوق عنــسـد  
انشائها في عام ١٩٣٥ ولكن امنيته هذه لم تتحقق له مما كان متـسـار  
شيء من الشقاء في نفسه لبعض الوقت ، لاسيما وقد التحق بها صـوـه  
وصديقه محمد أحمد ابوربات في من التحقوا .

وينقل أحمد خير الى واد مدنى مرة ثانية في عام ١٩٣٦ . وهـاـكـه  
يدعو لقيام مؤتمر الخريجين على نحو ما وصف فيما بعد . وتـتـرـامـى  
أبناء شاطئه الى رملائه في كسلا، فيطربهم ذلك منه ويهزهم هزاً عـبـيـفاً .  
ويحييه صديقه الشاعر توفيق صالح جبريل ، الذى كان من فحول الشعراء  
والاداريين المتعربين على الاستعمار ، يحييه شعراً فيقول :-

أحمد لما عدت عادت لنا المنـسـى  
محقة تحذوك والعود أحـمـد  
يسير بها ملوان جد ومنظـمـى  
ويسمو بها طهران قلبك واليـد  
ألا أبهذا الليل ماذا تـكـسـى  
تكشف لنا ناليل هل أتت سرـمـد  
ويا خير ان الخير أن تحمد السـمـى  
إذا صد اناء الظلام التجـسـد  
اثرنا فقد ضلنا وانا بهاجـمـة  
لجلد له أيد وألك أيسـمـد  
لأنى أخشى أن يضل جهادى  
وان لسمت تلك الجهود ستـمـد  
علمت بأن الحق بالعلم يهتـدـى

---

(١) جى واف ( G & F ) من درجات الموظفين يبلغونها بعد مـشـى عدد  
من السلوات في خدمة الحكومة .

وليس لنا الا الحقوقي منجد  
 فحطمت أغلال الوظيفة عندما  
 سمعت نداء الله يدعوك أحمد  
 تهجدت والأشعار حولك خشيع  
 تسامى معانيها اليك وتسجيد  
 مهذبة لما جمعت شتاتها  
 بدهك تستجدي وياك تعب  
 بزلت بأكناف الجزيرة فانسجت  
 منابرها تدعو فتاهها وتنشد  
 هنا منتدى شعر وذا بيت حكمة  
 وتلك ثقافات وذلك معبد  
 وفي التاكة السمراء والقاش نائر  
 كدأبك والامواج تدنو وتعب  
 لمحت خلاا انبأتنى خلاليسا  
 بأنك أنت المنفذ المتمسود  
 اذا بك والاهوال تنثال شاسر  
 مع الحق لا تعلو ولا تسترد  
 الا أيها القاش العنيد تحية  
 غلى ملعب في شاطئك ومرقد  
 أنى السواقي الساقبات جواحي  
 بسمى وان المدى يستزود  
 وتلك الغلال المرسلات عشية  
 الى المرج لا تمضي ولا تتقي  
 اثر شحوني فادكرت مراتمى  
 الا أين ذاك الناعم المتأود

كان للاستاذ أحمد خير على الإدارة والسياسة الانجليزية في السودان  
 مأخذ كثيرة خطيرة سردتها في كتابه " مآسى الانجليز في السودان "

الدى أصدره فى عام ١٩٤٦ باسم الوفد السودانى للمفاوضات البريطانية المصرية التى عقدت فى القاهرة حينذاك لمراجعة معاهدة ١٩٣٦ ، وهو يعتبر المبدأ القائل " فرق تسد " حجر الزاوية فى كيان الاستعمار البريطانى مما تم تطبيقه فى السودان . وكان فى مقدمة ما فعله ذلك الاستعمار ، خدمة لهذا المبدأ ، ابعاد النفوذ المصرى وصحوة من تلك الشراكة غير العادلة ، الحكم الثنائى .

يقول فى كتابه :-

" منذ اعادة فتح السودان فى عام ١٨٩٨ ، والبريطانيون يفكرون فى الوسائل التى يتخلصون بها من النفوذ المصرى الذى لم يكن فى يوم من الأيام قوياً ولكن شبحه كان دائماً حجر عثرة فى سبيل تطبيق السياسة الانجليزية ، وفى عام ١٩٢٤ هب السودانيون فى حركة تحريرية ما لبث أن اشترك فيها العسكريون فأبطلت الى ثورة مسلحة اصطدموا فيها بالجيش الذى استطاع اخمادها . وكان جزاء السودانين فيها القتل والسجن والتشريد والتعذيب، مما تقشعر من هوله الأبدان . وعند ذلك وجد الانجليز فرصتهم الكبرى، وربطوا هذه الحوادث بمقتل السردار فى مصر ، فطرد الجيش المصرى والمصريون امدينون من السودان ، كما طرد كثير من الضباط السودانين وحكم على بعضهم بالاعدام ، ونفى البعض الآخر الى مستشفيات بحر الفوال، حتى لقي حتفه من جراء الاوبئة والامراض القتالة .

ومند تلك اللحظة والحكم فى السودان انجليزى لحماً ودمياً . واتخذت الادارة طريقاً جديداً يرمى الى استغلال الشعب ، وتفكيك أوصاله ، ويدبر الفساد والتفرقة بين أبناء البلد الواحد مع ايهامهم بأن هذا الطريق هو الذى يأخذ بناصرهم الى الرقى والتقدم والرفاهية .

ولم تكتف الادارة الانجليزية بهذا فيما يحدثنا الاستاذ أحمد خمير فى كتابه، بل اخذت تعرض بين أفراد الشعب بدور الكراهية للمصريين

وتعمق هذا الشعور بين المتعلمين ورجال القبائل من أهل السودان .  
أوهموهم أن المصريين يريدون استعبادهم واستغلالهم على نحو  
ما استعبدوهم من قبل في فترة الحكم التركي المصري ، وأهم يريدون  
أن يستأثروا دوسهم بمياه النيل وبالتالي حرمانهم من التقدم الزراعي .  
وكان محال التعلم أكثر مياديسهم لتفديد سياسة التفرقة، وابعد  
الثقافة المصرية والعربية والدينية أو اضعافها .

وفي محال الادارة اعرض الانجليز أعينهم عن السياسة التي كاسسوها  
قرروها من قبل، توطئة لادخال نظام الحكم اللامركزي، من تأسيس لمجالس  
للبلد واخرى للمديريات ، واستبدلوها بالادارة الاهلية مما يعكسه  
منشور سري صادر عن مكتب السكرتير الاداري في مستهل عام ١٩٢٦ ،  
جاء فيه :-

" واضح أن أكثر رجال المديريات ( أي المديرون والمفتشين  
الانجليز ) لا يؤيدون فكرة انشاء مجالس رسمية ولكنهم يوافقون على  
الأخذ بمبدأ المشاورات مع كبار الوطنيين في اجتماعات خالية من  
الشكليات ، ويوافقون أيضاً على زيادة نفوذ زعماء القبائل وسلطتهم  
القضائية والادارية . وعليه فقد قرر مجلس الحاكم العام عدم تنفيذ  
مشروع المجالس البلدية ' ، وترتب على السياسة الجديدة البديلة اصدار  
قانون المحاكم القروية، وقوانين اخرى تهدف الى تقطيع أوصال البلاد على  
أسس قبلية . ولخص هذه السياسة حاكم السودان العام ، سير جيسون  
مفي بقوله :-

" ان السودان يحتاز الآن عصره الذهبي . ولكن هذه الفرصة لمسر  
تظل طويلاً . لذلك ينبغي علينا أن نتخذ الخطوات العملية قبل فواتها  
لوضع الأسس التي يقوم عليها بناء ثابت مستديم من أجود المواد التي  
بين أيدينا . اذ لا يزال لدينا بالبلاد نظم وأوضاع قبلية ، وقواصم  
محلية ، وتقاليد قديمة وان اختلفت في أثرها بين اقليم وآخر ولكن كل  
ذلك سائر الى الزوال والغناء امام موجة الأفكار العصرية ، وقيام الجيل



الجديد، ان لم نخطها بسياح مبيع من الحمصيات<sup>١</sup>

وكانت الحكومة فيما يعيدنا الاستاد أحمد حر في كتابه قد عمدت فعلاً الى الاعتراف بهذه السمرة القلبية رسمياً، فأثبتها فسي الأوراق الرسمية واشترطت ضرورة تسجيلها في العرائض والشهادات المدرسية ودفاتر المواليد، وسجلات المحاكم، والحرائط ، كما أخذت تلعبها للتلاميذ في منهج الجغرافيا . وكان تعتبر هذه الأوراق باقصة وباطلة ما لم يذكر فيها الشخص اسم قبيلته !!

لن يقف الأمر عند هذا الحد بل مضت السياسة الانحصرية - خدمة لعآربها - تقفل أبواب السودان في أوجه أبناء الشمال ، وتحارب من استوطن منهم في الجنوب أو سرح اليه بعرض التجاره .. ضيقت عليهم الحناق في اوراقهم وعبادتهم وصبت عليهم من صوب المسف والارغاف ما يذكر الانسان بمحاكم استفتيش وعصور الظلام الوسطى في اوربا، فيما يصف الاستاذ أحمد خير .

ومن الماحبة الأخرى شجعت الرسائل المسيحية، من اوروبيين وامريكان على ارتداد تلك المجاهل واستيطانها بغرض التبشير للدين المسيحي ، وأمدت المبشرين بالأموال المقطعة من الميزانية العامة للحكومة، زيادة على الأموال التي كانت تنزل عليهم من دعاء التبشير في اوربا وامريكا . وتركت للمبشرين شؤون التعليم، والافراد بتنظيمه والاشراف عليه ، وتوجيه سياسته وبرامجه . وبهذا اسفرت مدارس المبشرين تشي - الحرب على اللغة العربية والدين الاسلامي .

يقول الاستاد أحمد خير في كتابه نقلاً عن المصيبة الرسمية لاجتماع المديرين السنوي لعام ١٩٤٥ ما يلي :-  
" من العيث الفصل في التعليم والدين . ولما كانت المسيحية أصلح لأهالي الجنوب من الاسلام فانه ينبغي والحالة هكذا أن تكسسون اللغة الانجليزية هي لغة التعليم في الجنوب ، كما انه يتحتم ارسال

النجباء من الطلبة في الجنوب الى مدارس وكليات يونغدة حيث ترسخ عقيدتهم المسيحية " .

وبسبب هذه السياسة المتعمدة ظلت مناطق الجنوب اما وثليسة لا تعرف الله ولا الرسول ولا المسيح، واما مسيحية . ولم ينتشر الاسلام فيها الا قليلاً . وبهذا نجح الاستعمار البريطاني في التفرقة الديمية بين الشمال والجنوب تمهيداً للفصل الجنوب، وفق خطة مرسومة باعداد محكم، تسندها اللوائح والأوامر الصادرة تحت قانون الجوازات والرخص لسنة ١٩٢٢ المسمى أمر المناطق المغفلة، والذي لم يقتصر أثره على الجنوب وحده بل اتعد الى جهات اخرى كثيرة من السودان . وبحسرم هذا القاسون الاتجار على كل السكان الا بجواز خاص . وقد حمل هذا القانون في طياته ما هو أنكى من ذلك ، فأجاز للسلطة الادارية اخراج أى سودانى من تلك المناطق دون أن تثبت عليه جريمة ضد القاسون وبدون أن يعرض على محكمة رسمية .

وينتقل الاستاذ أحمد خير بعد هذا فى كتابه فيحدثنا عن سياسة الانجليز التعليمية فى السودان، وسياساتهم الاقتصادية، وعن التشريع والخدمات الطبية، فيقول ان غرض التعليم كان منذ بداية ادارتهم تدريب عدد محدود من الموظفين والعمال يمكن الادارة من الاستغناء عن خدمات الاجانب باستثناء الانجليز منهم . وقد حدد هذه السياسة لورد كرومر وكيل بريطانيا وقتئذها العام فى مصر فى تقرير رفعه لى للحكومتين المصرية والانجليزية عام ١٩٠٤ قال فيه :-

" يجب أن نعلم التلاميذ ما يؤهلهم لخدمة الحكومة فى الوظائف الكتابية الصغرى بمرتبات تقل عن مرتبات الكتبة الذين يؤتى بهم من الخارج " .

يقول الاستاذ أحمد خير :-

" ليس أدل على سوء البنية، وتعتمد الإبطاء في السياسة التعليمية من منطلق الأرقام وضالة المخصصات المالية التي تنفقها الحكومة على التعليم بالنسبة للميراثية العامة في بلد كالسودان يحتاج الى التعليم قبل كل شيء ، اذ لم يزد ما ينفق عليه من ثلاثة في المائة — من الميزانية حتى عام ١٩٢٦ .

وبعض فيقول :-

جاءت هذه الادارة وفي البلاد آلاف المدارس التي تعني بتحسين القرآن . وكانت الثورة المهدية ما زالت ماثلة في اذهان الناس وهي ثورة غذتها مدارس القرآن وتعاليم الدين ، وقام بها زعيم جليل لقي تأييداً عاماً من جميع انباء السودان الذين تستحيب نفوسهم لدواعسي الدين أكثر من أي شيء آخر . لذلك خشي الاستعمار الآثار المترتبة على مثل هذه المؤسسات فعمد الى مهازمتها ومحاربتها بشتى الوسائل حتى تم له ما اراد . ثم تسلمت الحكومة شؤون التعليم في البلاد فأخضعت لقانون يحرم على أي شخص انشاء مدرسة دون الحصول على تصريح كتابي من الحاكم العام . وجعلت التعليم في مراحل المختلفة بالسماريه . ورغم الاقبال العظيم عليه فقد كانت المدارس قليلة لدرجة فاصحة لا تتناسب مع رغبة الاهلي أو مع عدد الأطفال الذين هم في سن التعليم .

ويورد ارقاماً تعكس هذا القصور فيقول أن عدد المدارس الأولية في عام ١٩٤٢ بلغ ١٨٦ مدرسة بها ٢٦٢٩٠ تلميذاً وتلميذه ، من اطفال في سن التعليم يربو عددهم عن مليونين ، أما عدد التلاميذ في المدارس الوسطى البالغ عددها في عام ١٩٤٩ احدى عشرة مدرسة، فقد كان ١٢٦٣ تلميذاً وتلميذة . والتعليم الثانوي في مدارس الحكومة على قلتها لم يكن متنوعاً في سائر ارجاء البلاد أكثر من خمسمائة وخمسين طالباً . أما التعليم العالي فقد كان رمزياً لا يتجاوز عدد طلبته في سائيسو

الكليات مائتس ، بل كان عدد المعلمين في بعض الكليات يفوق عدد الطلبة ١١ عام ١٩٤٠ .

ولم يكن في السودان من التعلم الصناعي تحت الادارة الانجليزية ما يستحق الذكر .

ويتناول الاستاذ أحمد خير في كتابه سياسة الادارة الانجليزية في المحالات الأخرى ، الاقتصادية والاجتماعية والطبية وغيرها بالاستعراض والمقد والتعربة ٠٠ ويخلص من هذا كله الى ما ظل يردده ويردده معه رملأؤه من الحرجين من أنه لا سبيل لتقديم السودان الآن بفكاكه من قبضة الاستعمار الانجليزي .

## الفصل الرابع

### معاهدة ١٩٣٦ وسودان

كان عام ١٩٣٦ ينذر بريطانيا وحلفاءها، بل والبشرية جمعاء، بشمس مستطير . فيه أحكم أدولف هتلر قبضته الحديدية على ألمانيا ، وبث مبادئه المأزبة ، وتعمد على القيود العسكرية والاقتصادية والاقليمية التي كانت قد فرضتها على ألمانيا معاهدة فرساي عقب هزيمتها فسي الحرب العظمى ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) وأعاد تسليح بلاده استعداداً لجولة أخرى ضد أعدائها يكون له فيها النصر فترتفع راياته عالية خفاقة تستظل بها الدنيا بأسرها ، وتسود مبادئه ، وتعلو كلمته ، وتطنس ارادته . . وكان أهل ألمانيا وهم شعب أبى عظيم الاعتداد بنفسه ، قد آمنوا به ، وانقادوا له ، يحلمون ببلوغ النصر الذى وعدهم به، والى نعم المقيم . .

وكانت الجيوش الألمانية فى مستهل مايو من ذلك العام قد دخلت اديس أبابا عاصمة اثيوبيا ، واخضعت تلك الامبراطورية لسيطرتها ، وثلاث عرش النجاشى فيها ، وقهرتها ، وفرضت سلطانها عليها بعد جهاد مرير وحرب طاحنة ما كان للحبيشة أن تنهزم فيها لولا أسلحة الخراب والدمار ، من غارات جوية لا قبل لها بها ، وغارات سامية محنورة ، استخدمتها ايطاليا بقيادة زعيمها الفاشى بنيوتى موسلينى، غير حافلة بالمواثيق الدولية، أو استنكار البشرية فى سبيل بلوغ غاياتها ومراميها ، واشباع الجماعيا . وكانت عصبة الأمم التى فرضت أول الأمر عقوبات عليها لعدوانها النظم ، وانتهاكها للقيم والمبادئ قسدت عادت فيكمت على اعقابها ، واستسلمت للأمر الواقع فالغت تلك العقوبات رغم عضوية الحبيشة المغلوبة على أمرها فيها .

ثم ما هو إلا وقت قصير يمضى على قهر الحيشة واستعمارها حتى يشعل الحزب فرانكو في اسبانيا ثورة عسكرية ، تندلع على اثرها حرب أهلية طاحنة ، ويستجد في ثورته بالمانيا النازية ، وايطاليا فاشية ، ويحصل منهما على العمون الحربى الذى ينشده .

وبهذا كانت الدلائل كلها تنذر بتقلص النفوذ البريطانى على الدنيا ودنو أجله . ولم تملك هذه الامبراطورية التى كان قادتها يعجزون باتساع رقعتها وشدة مراسها ، و سطوع الشمس عليها أبد الدهر، إلا أن تتفعل مع هذه الاحداث ، وتتهبأ وتستعد لمباذلة اعدائها اذا ما وقعت الواقعة .

وكان من بين ما فعلته في هذا الصدد استرضائها لمصر، واقبالها في جد لمقد معاهدة معها بعد محاطلة منها ومفاوضات فاشلة متعشيره دهرًا طويلاً . وما كانت بريطانيا لتفزع عن سياستها المتجسيرة واستعلائها لولا دقة الظروف الدولية، وشدة حرصها في ذلك الزمان وبهذا يمكن القول بأن معاهدة ١٩٣٦ بينها وبين مصر، كانت نتيجة حتمية لغزو ايطاليا للحيشة ونصرها عليها ونهوض المانيا من كبوتها تحت قيادة هتلر .

وكانت المفاوضات التى اسفرت عن ابرام هذه المعاهدة قد بدأت أول الأمر في القاهرة بين المندوب السامى سير مايلز لامبسون والحكومة المصرية برئاسة مصطفى النحاس باشا ، زعيم حزب الوفد وخليفة سعد زغلول . ولكن المعاهدة نفسها حين تم الاتفاق على بنودها ، وقّع عليها في لندن وزير الخارجية البريطانية ، مستر اسطوبى ايدن ووفد مصرى ممثل لسائر الاحزاب السياسية المصرية ، يقوده رئيس الوزراء النحاس باشا .

وكانت الطبقة السودانية المستعمرة من الشباب المتوثب للحريّة تتبع سير تلك المفاوضات في القاهرة بشغف شديد ، ويقرأ ابناءها في الصحف والمجلات المصرية التى يحملها البريد الى الخرطوم، ويتناولها

في مجالسه ومستدياته بالتحليل والمناقشة والتعليق . . ويعقد عليها الآمال الحسام في أن تحرر بلاده من الإدارة الانجليزية وقبضة الاستعمار البريطاني . وكان هذا الشباب بحرح كرامته ، ويدعى مشاعره ، ويقلق مضاجعه ، ما كانت تمارسه الإدارة الانجليزية من اذلال للسودان وأهله ، وتمزيق لأوصاله ، عقاباً له على ثورة ١٩٢٤ وحركة اللواء الأبيض التي كان يقودها البطل الشهيد علي عبد اللطيف ، ويقف بها مع مصر في ثورتها بصلافة ، ويودد ميادها سبيلاً للتحرر الوطني والاندماق من السيطرة البريطانية . اسهكت سياسة البطش لفرح الأهليين ، وارعمت الضباط والموظفين المصريين على معادرة البلاد ، فتصالح العود المصري وفقد المثقفون السودانيون حلفاءهم الدين كاسوا قد اکتووا مثلهم بسحير الاحتلال ، ممن كاسوا يرجون عونهم في الخلاص ، واسماع صوتهم للديار . ليس ذلك فحسب بل تغيرت نظرة الانجليز في السودان للمتعليمين من أهله ، واتسمت بالحق عليهم ، مما خلق أزمة ثقة عاتية بين الحكومة والطبقة المستنيرة في البلاد ، وأدى الى ركود التعليم وتقليص مساهمة صاحب هذه النظرة من الحكومة للتعليم نظرة مماثلة في السياسة الادارية ، اد اخذت الحكومة تعتمد في حقل الادارة وتصريف مسئوليتها على السلطات القبلية لا على المتعلمين . ففي يناير من عام ١٩٣٠ ، أصدر السكرتير الاداري بتوجيه من الحاكم العام منشوراً عن سياسة الحكومة تجاه جنوب السودان حددها بأنها العمل على قيام وحدات عنصرية قائمة بذاتها ، واحلال اللغة الانجليزية محل العربية ، وابعاد الموظفين الشماليين ، وتقيد الهجرة من الشمال الى الجنوب تنفيذاً لقانون المناطق المقفولة الصادر في عام ١٩٢٢ ، وتشجيع التجسس اليوسايتي والشوام للعمل في الجنوب لا الجلاية الشماليين ، وتشجيع الأهليين على ارتداء العلابس الافرجية بدلاً عن العوبية ، ونهيب اسمائهم العربية بأخرى رجية أو افرجية ، وكاست تلك السياسة ترمي الى فصل الجنوب أو بعض اجرائه ، خاصة الاستوائية ، عن الشمال وصمه الى ممتلكات التاج البريطاني في شرق افريقيا

وفي محل الاقتصاد تأثر السودان خلال المصنف الأول من الثلاثينات ١٩٣١ - ١٩٣٤ بالأزمة الاقتصادية التي تعرض لها العالم ، واضطرت الادارة الانجليزية في بلادنا اراء هذا الموقف لاتخاذ اجراءات اقتصادية صارمة ، وحقق بعضا بصورة ملحوظة وبشريد كثير من الموثق . وقررت أيضا خفض المرتب الشهري الذي كان بمنح لخريجى كلية عمردون التذكاريه عند تعيينهم في دواوين الحكومة مما أدى الى اضرابهم الشهر في عام ١٩٣١ ، واعصابهم أول الأمر في داخلاتهم ثم احلاءها ومخادرة الكلية الي ديارهم .

كل هذا كان يحرج كرامه الشباب السوداني المسير ويشير علقه على بلاده ويقضى مصجعه . فرأى في المفاوضات الانجليزية امصريه بارقة أمل في الخلاص ، أو على الأقل رفع الظلم وبصحيح الاوضاع الخاطئة ، وقد عمر عن هذه المشاعر الاسناد أحمد خير أحسن تعبیر في كتابه " كفاح حبل " حتى قال أنها قويت في السودان بالسرور والاشتياق . أول الامر بمزيج من البهجة والفتنة حشبه من بلوغها نتائج محيبة للأمال ، اد كانت تداعبهم الآمال في أن تعمل مصر على انشالهم من براثن الامبراطورية البريطانية غطفقوا بشيدون من طيف المفاوضات قصور الحربه والحياة الكريمة ، اذ كانوا قد اقتنعوا خلال الفترة التي تتب ثورة ١٩٢٤ بأن السودان اذا ما انفصل عن مصر كتبت به افعاء ، واقتنعوا بضرورة روال احكم انشائي لأن في استمراره بقسماء الانجليز في السودان طسيقين من كل قيد أو تقدير لمصلحة السودان .

هكذا كان شعور الطبقة السودانيه المسنيرة الموثبة للحربة فيما يروى لها عاجيا في كتابه " كفاح حبل " . ولكن الاشياء لم تسير كما كانوا يتصورون لها أن تسير . لا بل تحول الأمل الذي كانوا يعقدونه على المفاوضات الي حسرة عندما حمل المفاوضون المصريون حقائبهم وبمهموا عوب بحدن لتوقع صوبي عرف الانجليز في المسير ، أنها لا تمنع بوضع الاداري في السودان في قليل أو كثير . ليس ذلك وحسب بل هي اعترفت بالاحتلال الانجليزي للسودان ، والاعتراف



## استمرار اتفاقية الحكم الثنائي لعام ١٨٩٨ •

يقول الاستاذ أحمد خير في كتابه :-

"خلقت هذه الأخبار، وقد انتشرت بسرعة البرق في السودان، خيبة أمل في النفوس ، وادرك السودانيون أن عاصفة المفاوضات أخذتهم على غرة، أخذتهم قبل أن يقوم من بينهم من يندفعهم كيلا يسرفوا في التفاوض . ويسرسلوا مع الأوهام .. "

وواجه المتعلمون السودانيون الأمر الواقع .. وزالت الغشاوة عمن أبحارهم ، وادركوا أن الأمة التي تظل نائمة حالمة في الوقت البسيفي يكون فيه مصرها في الميزان، لا يحق لها أن تحتل مكانها تحت الشمس

وننظر الى المعاهدة لنستبين ما تم الاتفاق عليه فيها حول السودان، فلنجدها قد نصت على استمرار ادارة السودان على أساس اتفاقية ١٨٩٨ ، وديعة في يد الحاكم العام معثلاً لدولتي الحكم الثنائي وجعلت الغرض من ادارته تحقيق الرفاهية لأهله دون أن تحدد معنى هذه الرفاهية أو توضح السبيل إليها . وتركت السيادة على السودان معلقة كما فعلت قبلها اتفاقية الحكم الثنائي ، وخولت الحاكم العام حق تعيين ——— بين الموظفين وترقيتهم واختيار البريطانيين والمصريين لملء الوظائف التي لا يوجد بين السودانين أحد لشغلها . ولم تشمل المعاهدة فيما يهم السودان ويتعلق بمصره إلا على مسعى النقاط التالية :-

- (١) استمرار ادارة السودان على أساس اتفاقيتي الحكم الثنائي
- (٢) تحديد غرض الادارة السودانية بأنه رفاهية السودانين
- (٣) تعليق السيادة على السودان على نحو ما كانت معلقة في اتفاقية ١٨٩٨ •
- (٤) اعطاء السودانين الاكفاء - اذا وجدوا - أسبقية على البريطانيين والمصريين في شغل الوظائف في بلادهم •

أما مصر فإنها على الرغم من رفض بريطانيا لدعواها الرامية لفرض سيادتها على السودان ، أو على الأقل الاعتراف لها بهذه السيادة ، فقد حصلت عن طريق هذه المعاهدة على استرداد بعض الحقوق التي نزعها عنها العندوب السامي البريطاني في القاهرة ، لورد اللبسي على اثر مقتل سيرلي ستاك، سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام في احد شوارع القاهرة عام ١٩٢٤، وذلك في انذار كان قدمه لسعد رغلول باشا، رئيس وزراء مصر يشتمل على عقوبات عدة من بينها ما يلي :-

" أن تصدر الحكومة المصرية خلال اربع وعشرين ساعة الأوامر بإرجاع جميع الضباط ووحدات الجيش المصري من السودان مع ما ينشأ عن ذلك من التعديلات التي ستمرض فيما بعد . "

وكان مما استردته مصر في معاهدة ١٩٣٦ حق إعادة حدودها للسودان مرة أخرى ، أسوة بالجنود البريطانيين ، لتكون تحت امرة الحاكم العام في الدفاع عن السودان .

وتوفر لمصر أيضاً - من الناحية النظرية على الأقل - حق تعيين المصريين وترقيتهم كالبريطانيين تماماً، وذلك للوظائف التي لا يتوفر لها سودانيون اكفاء .

ولم يكن حظ مصر في الهجرة للسودان ، رغم ما نصت عليه المعاهدة بأحسن من حظها في شغل الوظائف والمناصب العليا في ادارة السودان ، وذلك لأن أبواب الهجرة للمصريين في المعاهدة قد قيدت بقيود ثقلين يمكن الحاكم العام من قفلها قفلاً محكماً .. مما مقتضيات الصحة ومقتضيات النظام العام .

كان الاستاد أحمد حير عمد ابرام هذه المعاهدة شاكاً قد بلغ الثانية والثلاثين من العمر ، قوى الجسم ، دافق الحيوية ، واسع الاطلاع عظيم الغيرة على السودان ، عامر القلب بالوطنية والصدق والاخلاص

وكان قد انضم الي الجمعيات الادبية التي نشأت علي اثر انقراض كئسبر من الحريجين عن ناديهم في أم درمان بسبب الثقل الطائفي عليه . فقد كان أول الأمر لصيقاً بجماعة الابروفين في أم درمان من افعال السادة حسن أحمد عثمان ومكاوي سليمان اكرت . . وابراهيم يوسف سليمان ، وخضر حمد ، وابراهيم عثمان اسحق . . حتى اذا ما نقل من الخرطوم الي واد مدني عاصمة مديريه النيل الازرق، اشأ مع بعض اصدقائه ممسي الابروفين الذين قدفت به ظروف الحياة من العاصمة الي تلك المدينة جمعية ود مدني الادبية ، وقد كانت من اكثر الجمعيات، ان لم تكن اكثرها، نشاطاً وازدهاراً شأناً ، واشدها تأثيراً علي تطور النهضة الحديثه . يقول في كتابه كفاح جيل عن هذه الجمعية :-

" نشأت هذه الجمعية في رحاب نادى واد مدني - قلب الحريرة المابض كما تواضع الحريجون علي تسمية المدينة . . نشأت في عيسف ١٩٣٦ في قلة محدودة ، وهذوة وانطواء ، وكان قوامها افراد من مدرسة ابي روف بأم درمان . وقد حرص القاشمون بها علي أن يكسبون الانتساب اليها مستنداً علي رغبة العضو ، وأن تكون العبرة بالمواظبة علي حضور الجلسات الاسبوعية والمساهمة في الانتاج الأدبي وكان هدف الاعضاء هو تثقيب أنفسهم والمران علي الاداء كتابة وارتيالاً . وكان اعضاؤها يهتدون مكاناً قصياً في النادى . . وقليلاً قلباً اردعمرت الجمعية وترددت امداء نشاطها في الصحف والأندية الأخرى، وعقد لها لواء التقدير والاعجاب من المشتغلين بالأدب أو المسائل العامة .

" وقد عطن رجال الادارة الي ما يكمن وراء نشاط الجمعية فأخذوها مقياساً لمعرفة الاتهامات العامة ، وحرصوا ، عن طريق صباط تعليم المديرية ، أن يوثقوا معها الحملات ، فأسهم في نشاطها الموظفون الانجليز ، وزودوها بالنكتب والمراجع عربية وانجليزية ، وكثيراً ما كان يثير ضابط التعليم - وهو انجليزى الجنسية - بعض الشؤون المحلية ، وبعض النظريات السياسية كالشيوعية والفاشية والديمقراطية لتلمس المشاعر العامة نحوها . "

## الفصل الخامس

### قيام مؤتمر الخريجين

كان من أعظم معجزات الجمعية الادبية في واد مدني اسباق فكرة انشاء مؤتمر للخريجين في رحابها ، وذلك على اثر حبيبة الأمل النسي ملأت نفوس الشباب والمستثمرين من اهل السودان عند توقيع معاهدة ١٩٣٦ التي انكرت عليهم حقهم في الادلاء برأيهم في مستقبل بلادهم بحجة قصورهم . واخضعتهم من جديد لسيطرة الاستعمار الانجليزي . فقد هب الاستاذ أحمد خير بقديم محاضرة في هذه الجمعية في عام ١٩٣٧ بعنوان : واجبتنا السياسي بعد المعاهدة لنادي فيها باشاء المؤتمر . ونجده يحدثنا عن الفكرة في كتاب " كفاح جبل " فيقول انها دعسوة للنضال الوطني تهدف لاقامة الحرية بين مجموعة من البشر جثم على صدورهم ، وخلق انفسهم ، وتصرف في اقدارهم استعمار اجنبي وما كان ليكتب لهذه الفكرة النجاح لو لم تكن تعبيراً عن آماني جماعة من الرجال كانت تنظمهم الجمعية الادبية بواد مدني ، وعما كان يعتمد في نفوس الطبقة المستنيرة في سائر احاء السودان .

وبستعرض المحاضرة نجد صاحبها يتساءل عن الخطوات التي يراها الخريجون لازمة لرعاية مصالح الأهلى ، وبيل الحقوق الوطنية ؟ . ويقول :-

" كيف يتأني للخريجين حمل الحاكمين على الاعتراف بهذه الحقوق وكيف يعرفون عن تلك المصالح . . رفع مستوى التعليم واحترام الشعور القومي . . كيف يستذكرون ما يمس كرامة الأمة من قوايس وما يضعف وحدتها من لواش ؟ كيف يجهرون في حزم وجد بأن سياسة الادارة الاهلية والادارة المالية ، والمعارف العمومية ، وقوانين العدل ، ونظام

شركات الاحتكار وكل ما يعرضه الحاكم من نظم يجب أن يكون موضع الشورى بينهم وأن يكون لهم فيه رأى محترم . "

وبعضى فيقول وهو يخاطب الخريجين :-

"أيتها الخريجون ما وسيلتكم وما حيلتكم للاطلاع على أسرار اعمالية والاقتصاد والتجارة وادراك حكمة تلك القروض المحمة ، وما احاط بها من ظروف واثر فيها من عوامل ؟

"ان المرء ليتساءل كيف يضطلع الخريجون بكل هذه الواجبات أو جلبها وهم هيئة لا وجود لها ، واسم على غير مسمى . والخريجون مشتقون في البلاد ، تراهم في العاصمة كثرة مختلفة الرأى ، متباينة المزاج ، وهم في الاقاليم وعوام المديريات أقلية من العمال المكدرين والسهة الحكومة المنهوكه ، أو هم كما وصفهم سير هارولد ، ماكماكل في كتبه " السودان الانجليزى المصرى " اذا ما استلم السودانى العصرى السى احلامه ، رأى نفسه عضواً ممتازاً ، وزعيماً مرتجى لهيئة اجتماعية متحضرة ، لديها من وفر المال ما يكفى لجلب كل أسباب المدنية والرفاعية لملاذه ، حتى اذا ما ثاب بسى رشده ، ايقن بأنه ليس الأ مستخدماً بسيطاً ذا أجر متواضع ، بشاً فى بيته سادجة ، حقيرة فسى نظره ، متقيداً فى حياته المعزولة باغلال عادات همجية ، مؤمناً فسى سويداء قلبه بأن ثقافته ليست الاً قشوراً ، وما أحلام نهاره الاً فكاهات" ويواصل حديثه فينادى بالاتحاد الفكرى بين الخريجين أولاً ثم بمؤتمر الخريجين . يقول :-

" اعمى بالاتحاد الفكرى استظام الطبقة المستميرة ولا أقول المتعلمة فى هيئة محكمة استظام لاستغلال القوة والنضال فى هذا البلد واستغلالها فى شتى المباحى فى الدعابه ، فى التعليم والغربية ، فى المالبسة والتجارة ، وفى الرياضة والفن ، وفى الخيرات والاجتماع .

ويشير في هذا العدد الى تركيز الحديثه التي قامت على اكتساف  
المجلس الوطني الكبير ، والى الهند وما بلغت من سمو بفكره  
المؤتمر ، والى حزب الوفد في القاهرة، والكتلة الوعمية في دمشق  
والمجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين ، وبنادي بالشيرة والتمرد على  
الخمير في السودان، ويقام هيئة تنظم الخريجين ببوليسا ثقتهم ،  
وبسجون حوسا، وبخضوع لها خدمة للمصلحة العامة ،

يقول :-

"واجبنا ايها السادة هو ان ننفض بايدي الاندية - نادي الخريجين-  
لننجزه معقلاً حصيلاً للوحدة الفكرية ، وحدة السودان الحديث، لنجعله  
بقابة عامة للدفاع عن كل ما يمس الوطن والمواطنين وهناك نفوس، ومن  
هناك نعلن رسالة السودان الحديث - اذا ما انتظم السوداني المستنير  
في رابطة أو مؤتمر أو نقابة مركزها النادي بأمر درمان وفروعها في  
الاقاليم، اذا ما نشر برنامجه القومي نكون قد عرفنا وحدنا واجهنا  
السياسي " .

نشرت مجلة الفجر التي أصدرها المجاهد الاستاذ عرفات محمد  
عبد الله من زعماء جمعية اللواء الأبيض، وكبار المثقفين والفكرين من  
الشباب السوداني في عام ١٩٣٤، وألّت مسئولية تحريرها بعد وفاته في  
عام ١٩٣٧ للاستاذ أحمد يوسف حاشم، أسى الصحافة السودانية الحديثة ،  
نشرت محاضرة الاستاذ أحمد خير، فاستقبلها الخريجون ودوو الرأي من  
المواطنين اعظم استقبال، ووجدوا فيها تعبيراً صادقاً عما كان يعتمل في  
صدورهم ، ورائداً بهديهم سواء السبيل . وكان تجاوب المدارس الفكرية  
في العاصمة المثلثة مع ما اشتملت عليه تامان ورأى الاستاذ أحمد خير  
أن يبعث بنسخة من محاضراته للجنة نادي خريجي مدارس السودان  
بأمر درمان لتتدارسها . . وتقرر ما ترى في أمر تأسيس المؤتمر الذي  
نادت به .

ادن فقد كان السبب المباشر للمساعدة باشاء المؤتمر هو ما أصاب الشباب السوداني المستنير من خيبة أمل في المعاهدة ، وكان الغرض من اشاء ذلك التنظيم تدارك الموقف فلا يؤخذ السودانيون على غرة اذا ما نقرر مراجعة المعاهدة أو تعديلها ، وأن يكون ذلك التنظيم الذي يبنى باسمهم، ويعبر عن امانيهم، ويذود عن حقوقهم .

وسبق لجنة العادى الفكرة في حماسة، وترى فيها وسيلة جسيمة لخدمة المجتمع والعادى على السواء . . وتتألف لجنة تمهيدية لاجتماعها لدراسة حادة مثالية في اجتماعات مفتوحة كانت تعقد في دار العادى يوم الخميس من كل أسبوع . ويصف لنا هذه الاجتماعات الاسبوعية السيد حضر حمد من مؤسسى حزب الاتحاديين ، وقادة الحركة الوطنية ، ومؤسسى الحرب الوطنى الاتحادى فيما بعد، وأميد العمام والذي كان عضواً في مجلس السيادة السودانى، قبيل انقلاب مايو المشنوم، بعضها فى مذكراته التى نشرت بعد وفاته يقول :-

" بعد أن القى أحمد خير المحاضرة فى عادى الموظفين بواد مدنى أمام الجمعية الادبية أرسل نسخة منها لى وأخرى للجنة نادى الخريجين بأم درمان . ومن هنا بدأ التفكير فى مؤتمر الخريجين ، وجد الناس فى التفكير والفكرة ووسائل تحقيقها واعراضها، وكانت الرؤى فمبسطة الحقيقة خالصة من معالم محددة يبدأ منها العمل أو يطلق . أمسا نحن فما كنا نجهل ما نريد . كنا نريد بالمؤتمر أن يكون كالمؤتمر الهدى أو الوعد الممرى، يتولى قياده الحركة الوطنية والسياسية ، ولكن من يستطيع أن يقول هذا فى ذلك الوقت ؟

" بدأنا بليال أشبه بالليالى الادبية بقميها فى نادى الخريجين بأم درمان كل يوم خميس ، ففسح فيها المجال لكل متحدث ليقول كيف يريد المؤتمر أن يكون، وماذا تكون أهدافه، وما هى آمانه القريبة والبعيدة فيه . ونحدث الناس ، تتلاقى افكارهم احياناً وتختلف احياناً . وظهر أن كثيراً من الخريجين لا يفهمون المؤتمر المرتقب الا بقاية للموظفين

تنظر في أحوال معاشاتهم وتصاريح السفر والعلاقات والدرجات ، أي انهم فكروا في أن يعالج المؤتمر شؤون طيفتهم • ولكن بالرغم من هسسهذه الافكار عقد كات الاجتماعات حاجه، واتسست دائره الذين يريدون أكثر من ذلك وبينون عليه امالاً عراضاً • وكان على رأس المادى أو سكرتاريته السيد اسماعيل الارهرى وبعض الاخوة كاحمد محمد يس، وعثمان شمدى ومكى شبكه وآخرون • وكونا لجنة اسديا سكرتاريتهها للاستاد جمال محمد أحمد، وكان بها الرملاء ابراهيم يوسف سليمان، وعبد الله مبرعى وبشرى عبد الرحمن صعي، واسهادى أبوبكر، ومحمود الفكى، ودكتور ابراهيم أحمد حسى، وحضر حمد • وآلت على نفسها أن ترور كل خريج كيمسبر وبشرح له فكرة المؤتمر وتدعوه للمساهمة فيها • وامتهبها بعد ذلك الطواف اى أن اجماع من اتصلوا بهم قد العقد على تأييد الفكرة "

واسفرت تلك الجهود كلها عن تأليف لجنة تحضيرية لرسم مسودة دستور ولوائح المؤتمر المقترح • وتقرر أن يدعى الخريجون لاجتماع تأسيسى للمؤتمر فى فبراير من عام ١٩٣٨ يعقد فى نادى الخريجين بأم درمان ، وقد احتارت اللجنة التحضيرية اليوم الثانى من عيــد الأملحى فى ذلك العام موعداً للاجتماع ليتسنى لأكبر عدد ممكن مسن الحربى حموره، خاصة من كان يعمل فى الاقاليم القريبة من العاصمة •

وفى الموعد المحدد للاجتماع تدفق الخريجون نحو مكان الاجتماع من كل حذب وصوب ، يحدوهم الأمل ، وتدعهم الرغبة الصادقة فى تشييد الصرح الوطنى الجديد • وكان عددهم ألفاً ومائة وثمانين خريجاً، وهو رقم كبير اذا ما قيس بمقاييس ذلك الزمان ، اكتظت بهم دار النادى حتى اشك عقد النظام فيها أن يغرط لولا مهارة السمسار اسماعيل الارهرى فى ادارة دفة النقاش، فى حمل المتحمسين من المؤتمرين على ضبط النفس • وقد عمر كثير من الاعضاء عن بهجتهم بمولد المؤتمر بشراً وشعراً ، وكانت كلماتهم تسقبل بالهتاف للوطن



وهز الشاعر على نور الذي لقب فيما بعد بشاعر المؤتمر ، القلوب  
والمشاعر هزاً عذيفاً وهو يتغنى :-

هذي يدي لسماء المجد ارفعها  
رمزاً يشير الى المستقبل الحسن  
لما نرجيه تحت الشمس من وطر  
وما نغديه بالأرواح من وطس  
دقوا البشائر للدنيا بأجمعها  
وللعروبة من شام الى يمن  
انا همما وارفعها عزائمنا  
على النهوض بشعب للعلا فمن  
الله اكبر هذا الروح اعرفه  
اذا تذكرت أيامي ويعرفه  
كنا ننميه سرّاً في جوانحنا  
حتى استحال الى الاجهار والعلن

وفي ذلك الاجتماع التاريخي تم احازة دستور المؤتمر بعد مداولة  
جادة موضوعية ، وتم أيضاً انتخاب هيئة عامة للمؤتمر من ستم عضواً  
تختار من بين اعضائها لجنة تنفيذية من خمسة عشر عضواً ، بينهم سكرتير  
المؤتمر - ومساعداه وامين صندوقه ، ومحاسبه . . وتقرر ايضاً أن يتعاقب  
الاعضاء الآخرون والمكرّرين معهم على رئاسة اللجنة التنفيذية شهراً بعد  
شهر ، وبهذا تختفي اسباب الصراع والانقسام والمناخسة .

وكان الدستور الذي اجازه الاجتماع التأسيسي قد جعل الفرض ميسر  
المؤتمر " خدمة المصلحة العامة للبلاد والخير الجس " وهو بهيئته  
السيارة المقتضية المشبعة بأعظم المناسي والاعداذ قد قلل المنادى أمام  
أي اعتراض ، أو مجر للاعتراض ، عند مصدر عن الحكومة ، وفتح أمسسام  
المؤتمر ابواباً واسعة لتصريف كل عمل عام تكون فيه مصلحة للبلاد أو  
للخارجين ، كان ذلك في محال العلم ، أو الاتحاد ، أو الاجتماسع أو  
اسياعه ، أو كان يتعلق بمصالح أعضاء المؤتمر وحقوقهم .

## الفصل السادس

# للقليم الأهل

كانت الفترة الأولى من حياة المؤتمر فيما يصف الاستاذ أحمد خير فترة اعداد وتنظيم ، وهي الفترة التي تولى قيادته فيها كبار الخريجين رغم ما كان بينهم من تنافر وضعف ولكن مكانتهم في المجتمع كانت ساطعة ، تلى مكانة الزعماء الدينيين مباشرة ، وكانوا موضع ثقة الحاكمين مما خلق عليهم نفوذا كبيرا بين الأهلين ، وقد حمد لهم الاستاذ أحمد خير التقليد الحسن الذي اختطوه بجعل رئاسة المؤتمر دورية يتولاها كل شهر احد اعضاء لجنته التنفيذية مما نأى بالمجتمع السوداني من الوضع السيئ الذي يجعل الرئاسة وقفا على فرد يصعب انزعابها منه دون احداث هزة تطيح بالوحدة والتعاون . وقد كسب المؤتمر عند مولده يحتاج لمثل هذا الاستقرار ، ولما يجنبه اسباب الانقسام . واليهم ايضا يرجع الفضل في اصدار لوائح المؤتمر . ويحدثنا الاستاذ أحمد ايضا انهم اقدموا بعد هذا على الاتصال بالحكومة مقدمين لها دستور المؤتمر ولوائحه ، شارحى اهدافه وغاياته في رسالة يؤخذ عليها التعميل كما يؤخذ عليها بالانجليزية وانغرافها لسياسي دبلوماسية زاخرة بالالفاظ الرخوة .

وقد اناحت هذه الرسالة الفرصة للسكرتير الاداري ليعمد باعتراف الحكومة، ليصبح المؤتمر هيئة شبه عامة متى الغرم بالحدود التي رسمها ذلك الخطاب .

وكان مما فعلته اللجنة الأولى للمؤتمر أن ادخلت بقليد " لحسان الاختصاص " وهي كالمحان البرلمانية تقوم بنحصر المواعيد العامة

ودرسها توطئة لعرضها على الهيئة العامة، كما اشأوا صحيفه نصف شهريه ولكنها كانت قليلة الأثر .

يقول الاستاذ أحمد خير في كتابه، كفاح جيل، ان المؤتمر تقدم السي الحكومة بمضع مذكرات على فترات متباعدة ، الأولى لاصلاح التعليم في البلاد، والثانية لاصلاح شؤون المعهد العلمي بأمر درمان . وقد قوبلتا في الدوائر الرسمية بالترحاب والاستحسان، ثم تقدموا بمذكرة ثالثة بيطالبون فيها بتحسين اجازات الموظفين ولكن الحكومة اعترضت عليها واهتمرتها، تدخلت غير مشروع في العلاقة بينها وبين موظفيها .

ولما قامت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر من عام ١٩٣٩ اعلن المؤتمر سياسة التأييد للديمقراطيات ، وكان هذا الموقف منه يعكس رغبة الأكثرية من المؤتمرين وتقديرهم للرئيس . وقد قررت الحكومة عينا بهذا الموقف واطمأنت له .

أما في مجال الاصلاح الاجتماعي فقد حاولت لجنة المؤتمر أن تطرق أبواباً كثيرة، وحاولت في مجال الاقتصاد أن تؤسس شركة تجارية لكنها لم توفق في هذا المجال .

وكان الاستاذ أحمد خير قد استقال من خدمة الحكومة في اعقاب عام ١٩٣٩ والتحق بمدرسة الحقوق التي انشئت حينئذ كأحدى المدارس العليا التي قررت الادارة اشاءها نواة للكلية الجامعية فجامعة الخرطوم، بعدها . . وكان من زملائه في هذه المدرسة بعض الشبان الذين قدر لهم أن يلعبوا أدواراً بارزة في تاريخ السودان السياسي والقضائي ، منهم السيد ياسر عوض الله أول رئيس لمجلس اسواب الذي تم عنده اعلان استقلال السودان في أول يناير من عام ١٩٥٦، وأدى أصبح فيما بعد رئيسا للقضاء . . والسيد مبارك رروق ، نائب رئيس الحرب الوطني الاتحادي، وأول وزير سوداني لوزارة المواصلات وموزارة الخارجية والمالية بعدها ، والسيد البريج الأمسي ، رئيس القضاء السابق ، والسيد ريادة

أرباب ، وزير المعارف والعدل ، والسيد عثمان الطبيب، رئيس القضاة .  
أيضاً ، والسيد عبد المجيد امام، نائب رئيس القضاة والسادة ميسارك  
المدني ، وحسن عبد ارحم من كبار القضاة في السودان .

وقد اقبل الاستاذ أحمد خير علي الدراسة رغم كبر سنه بالمقارنة  
لزملائه الذين انتقلوا مباشرة من الدراسة الثانوية الي الدراسة العليا ،  
في اهتمام عظيم . . واختاره زملاؤه الطلبة رئيساً لأول لاتحاد لهم ،  
واستطاع أن يعقد صداقات وعلاقات ود واحترام مع اساتذته في الشريعة  
كالشيخ محمد محي الدين - عبد اسعيد من كبار علماء الاخر ، الذي  
اشتهر بفرازة العطاء وكثرة ما ألف من كتب تعتبر اليوم من امهات  
المراجع في الشريعة الاسلامية ، واللغة العربية . . واستطاع أيضاً أن  
يسرع تقدير استاده في القانون الانجليزي المستر هيز الذي التحق  
قاضياً فيما بعد بالهيئة القضائية في السودان .

وعلى الرغم مما كان يفرضه عليه الطلب من اقبال علي الدرس، فقد  
ظل يمارس نشاطه في مؤتمر الخريجين العام ، يحضر اجتماعات هيئته  
العامه التي كان عضواً فيها ويشترك في مداواتها ، ويقدم لهيئته  
المقترحات والاعمال ويضبط على اللجنة التنفيذية في عنف لتضاعف من  
الجهد في خدمة المجتمع، ولترفع راية المؤتمر عالية خفاقة ، وتستنفر  
المواطنين للاستفاف حولها .

وكان المؤتمر فيما ذكرنا قد حدد موقعه من الحرب العالمية  
الثانية باختياره الانحياز لبصرة الديمقراطية، اد كان بس قاداته فربس  
كبير يرى أن يكون للسودان وأهله دور ملحوظ في الدود عن حيسا  
انطى، وأه من الحظاً ترك البلاد يتنازعها الطامعون فيها من الغسرة  
بوتوف أهلها من الاحداث موقف المتفرجين . . وكان من رأى المؤتمر  
أبشاً أن تشترك قوة دفاع السودان في الحرب اذا اقتضى الدفاع عس  
السودان منها ذلك .

ومى مستهل عام ١٩٤٠ تقدم الاساذ أحمد حبر، وهو لم يزل طالباً  
فى السنة الأولى من مدرسه الحقوق، بمذكرة يقترح على المؤتمر فيها أن  
يتمى مشروع التعليم الأهلى ، ويخص له يوماً كل عام تجمع فيه  
القرعات من المواطنين ونظام الاسواق الخيرية لجمع المال اللازم لإنشاء  
المدارس .

يقول الاستاذ فى كتابه كفاح جيل :-

" من أجل الحفاظ على كيان المؤتمر بربطه بجماعه الشعب دون أن  
يصطدم بالجهات الرسمية ، نبتت فكرة يوم التعليم . وقد قدم المشروع  
للجنة التنفيذية وهو يرمى لإقامة مهرجان فى عيد الهجرة من كل عام  
يطلب فيه من المواطنين أن يدفعوا ضريبة مالية لخدمة أغراض وطنية .  
ولما نظرت اللجنة التنفيذية فى الاقتراح رأت بعد اجتماع وجدل طويل  
أن الأمر يحتاج الى مزيد من البحث والدراسة . وكانت تلك لحظـة  
حاسية ، نشب فيها خلاف حاد بين أنصار المشروع ورجال اللجنة ،"

هذا ما كتبه صاحبنا فى كتابه . . ولكن كيف يتسنى للجنة  
التنفيذية أن تبلغ ما تريد وصاحبنا يقف لها بالمرماد ، ويخاف من  
الضغط عليها ويثدد الخناق ، حتى يتحقق ما يريد ؟

يقول :

" لم يمض اسبوع واحد حتى حزمت اللجنة أمرها وشرعت فى تنفيذ  
المشروع بهمة وإخلاص . وزاد من الحماس أن اسهم الزعماء الدينيين  
بمبالغ كبيرة كانت حافزاً لسخاء الطبقة التى توجس حيفة من  
اتجاهات المؤتمر ، ولم يمتنع عن المساهمة - فى طول البلاد وعرضها -  
الآ أفراد الجالية الانجليزية بالاجماع كأنما هيئت عليهم تعليمات  
وأوامر .

" امتدت اعمال يوم التعليم وتلاحقت فى طول البلاد وعرضها -

فأقيمت الأسواق الخيرية في الجهات المختلفة ، ورأت اللجنة التنفيذية وقد فاقت المبالغ المتحملة تقدير جميع المتفائلين ، ان الأمر يستوجب وضع لائحة خاصة لتنظيم جميع المسائل المتعلقة بيسوم التعليم من إيرادات ومصروفات .. وهكذا وجد القاشمون بأمر المؤتمر في يوم التعليم ضالهم المدشودة لحشد المواطنين حوله فكسبوا بهذا نفوذاً عظيماً . "

ولم يقتصر نشاط المؤتمر على الحقل الاجتماعي والحقل التعليمي بل امتد أيضاً الى الحقل الرياضي إذ أقام مهرجاناً رياضياً، أول الأمر في أم درمان، اشتركت فيه الاندية الرياضية المحلية، وافتتح يوم السودان الرياضي على طريقة الألعاب الاولمبية ، واهتم بالمهرجان الأدبي الذي دعت له الجمعية الادبية بواد مدني بإعزاز من الاستاذ أحمد خير ليصبح عبداً وطنياً يحتفل به في اليوم الثاني لعيد الفطر من كل عام ، وتنتقل شعلته من مدينه الى أخرى ، وكانت تقدم فيه بحوث قيمة في كافة أوجه الحياة السودانية .

يحدثنا الاستاذ أحمد خير عن فكرة المهرجان الادبي فيقول :-

" لم تكن فكرة المهرجان ثمرة حلم جميل أو وحى خيال عساف ، ولكنها خلاصة تأملات أعضاء مدرسة واد مدني ، سواء في اجتماعاتهم الرسمية أو في جلسات السمر ، وهي على الأرجح وليدة الرغبة فسيية اشتراك أكبر عدد من حملة الاقلام في السودان في نتائج الجمعية الادبية ، فكما أصبح المؤتمر وقفة جامعة للوطنية السودانية ، فليصبح المهرجان وقفة جامعة للأدب والفنون، فالوطنية والأدب .. متلازمان .. وكان يداعب خيال رجال الجمعية الأمل في مساهمة ادباء مصر لاسيما بعد أن اتملوا بالاستاذ توفيق الحكيم وأهداهم مجموعة من مؤلفاته .. كل هذا هدى أعضاء الجمعية الى اخراج فكرة المهرجان الادبي ليكون معرضاً للانتاج العلمي والادبي والتاريخي ، وللانتاج الفني من حيث

وتصوير . وتقرر أن يعقد المهرجان في اليوم الثاني لعيد الفطسرو . وكان الرأي العام عند حسن ظن الجمعية فاشترك في المهرجان جميع غفير من حملة الاقلام ورجال الفن حتى لم يتسع المقام لعرض المحسوث كلها . . وشهدت المدينة في نوفمبر ١٩٣٩ عيداً قومياً رائعاً راد من بهجة العيد الديني ومسراته ، وازدحمت بوقود الادباء المشركسة ، والاعيان الزائرين من الشيوخ والشباب .

" وقد اصبح المهرجان الأدبي عيداً وطنياً ، وصارت شعلته مشعل شعلة الاولمبياد عند قدماء اليونان، تنتقل من اقليم الى آخر ، سلمها نادي واد مدني لنادي خريجي مدارس السودان بأمر درمان ومن أم درمان نسلمها لنادي الخريجين بالخرطوم ، ومنه انتقلت الى نادي الخريجين بالأبيض ، "

وكان يشترك في هذا النشاط الدافق من اعضاء الجمعية الادبيسمة بواء مدني مع الاستاذ السادة دكتور ابراهيم النيس رئيس السبادي ، واسماعيل العتيابي سكرتيره ، والسادة حسن وابراهيم عثمان اسحق ، وحسن نجيلة ، وأحمد مختار وغيرهم ممن كانت تربط بينهم اواصر الصداقة والوفاء .

ونرجع الى مشروع التعليم الأهلى فنقدم الصورة التالية التي اختطها الاستاذ امين التوم في كتابه " ذكريات ومواقف في طريق الحركة الوطنية السودانية " يصف لنا فيها حماسة الأهلىين للمؤتمر بسبب نشاطه في نشر التعليم .

يقول :-

" في يوم من الأيام قرر المؤتمر أن يفتتح أول مدرسة له على النيل الأبيض في قرية الكنوز . . كان ذلك في عام ١٩٤٢ وبعد تقديم المؤتمر مذكرته المشهورة ، فاجتمعنا وكما نقرأ من الخريجين . . كنا نحواً

من ثلاثين شاباً .. وكان على قيادة هذا الفرع الأخ أحمد خير الذى اقترح قيام المؤتمر .. وكانت مهمة هذا الوفد أن يفتح مدرسة الكنوز باسم المؤتمر .. فأعدت العربات لما ، وبدأنا أول ما بدأنا من نادى الخريجين ( بأمر درمان ) باستاد نشيد المؤتمر ، وكانت تلك أول مرة يشد نشيد المؤتمر فيها بشكل جماعى وبذلك القوة التى انشد بها .

" وكان أول مكان نقف عنده مدينة القطية ، وكانت دهشتنا عظيمة عندما رأينا المدينة بأجمعها .. رجالاً ونساء واطفالا .. تخرج لتستقبلنا .. وقبل أن نزل من العربات انشدنا نشيد المؤتمر، وكانت دهشتنا اعظم عندما رأينا الناس يركبون سدمع عزيرة حوى وهم يستمعون الى نشيدنا .. وقد اكرمنا مدينة القطية اكراماً منقطع النظير . وفى المساء بارحناها فى طريقنا الى الكنوز التى وصلناها فى الصباح الباكر . وهناك كان سكان تلك المنطقة فى استقبالنا عند المدرسة .. والفتحتنا المدرسة وقلنا فيها ما شاء لنا ضميراً أن نقول .. تحدثنا عيسى السودان وعن الاستقلال وعن الحرية وعن خروج المستعمرين .. لم نترك شيئاً يمكن أن يقال فى أى بلد يشد الحرية الا قلناه فى تلك الليلة واخذ الاقليم كله يردد ما قلناه، وما انشدنا لفترة طويلة .. وفى طريق عودتنا وقفنا فى الكوة ولقينا جموعاً من أهلها ، والقيت الخطيب والناشيد الحماسية .

" لم تكن رحلة الكنوز اذن رحلة لافتتاح مدرسة فحسب ولكنها كانت فى الواقع رحلة سياسية وطنية جادة يقوم بها مؤتمر الخريجين فى منطقة هامة من أرض السودان .. وكانت رحلة ناجحة جداً .. فقد ايقظت المواطنين ووضعت اسم المؤتمر فى كل لسان . ولما عدنا الى الخرطوم وصلت الأخبار عن هذه الرحلة الى الخريجين وكان وقعها عظيماً فى انفسهم . "

وعنى المؤتمر فيما عنى به بأمر القرية ، ومد يده للنهوض بها



وعمل على محاربة العادات البالية الضارة •

واخيراً فلعل شباب الجيل الجديد في بلادنا وهو يرتاد دور السينما الوطنية في العاصمة المثلثة لا يعرف أن فكرة إنشاء شركتها انبعثت ايضاً من مؤتمر الخريجين العام في مجال نشاطه في الحقل الاقتصادي ، اد عباً مشاعر المواطنين من كبار التجار ، وفي مقدمتهم المحسن الكبير الحاج عبد المنعم محمد ، رجل الخير والاحسان الشهير ، لانشائها وبالتالي تمليك هذا العمل لأهل السودان بعد أن كان يؤثر به الاجانب تحسنت الادارة البريطانية • ولم يكتف المؤتمر بهذا بل حرص الاقاليم لانشاء شركات مماثلة لعمل دور السينما فيها بالتعاون مع الشركة التي قامت في الخرطوم فكانت استجابتها راسخة •

هذه بعض نشاطات المؤتمر رأينا أن نمسها برفق ونحن نسرد سيرة الاستاذ أحمد خير عرفاناً منا له بالجميل ، وتنويراً لناشئتنا من أبناء الاجيال الجديدة ، وحفزاً لهم للتباري في ميادين الخدمة العامة مما ينهض بالسودان ويقرن اسماءهم بنهضته • وفي الفصل المقبل نقدم طرفاً من نشاط المؤتمر في الحقل السياسي ونقص قصة مذكرته الشهيرة التي طالب فيها أهل السودان بحق تقرير المصير ، ونقدم ايضاً شيئاً من نشاطه عند بدء المفاوضات الانجليزية المصرية لتعديل معاهدة ١٩٣٦ •

## الفصل السابع

# مذكرة المؤتمر

نتناول في هذا الفصل قصة المذكرة الشهيرة التي رفعها المؤتمر لحاكم السودان العام لينقلها بدوره الى دولتي الحكم الشائستى ، خلفيتها ، ومحتواها ، ومراميها والدور الذي لعبه الاستاذ أحمد خير في اعدادها ودفاعه عنها .

كان السودان فيما ذكرنا في فصل سابق قد وقف مع الحلفاء فسي حريهم ضد المحور وقفة صلبة صادقة ، وبذل في سبيل صرتهم بسخاء ، وقدم تضحيات عظيمة ، بل وسخر اقتصاده وامكانياته كلها لخدمة المجهود الحربي ، وجد رجاله لخوض الحرب مع جسودهم ، وأقام قوة الطوارئ والقوات التطوعية لدرء الخطر وتخفيف العبء عن الجنود ، وشهد لقوة دفاع السودان التي قفز عدد رجالها من آلاف قليلة السبي ما يزيد من ثلاثين ألفاً ، شهد لها السكرتير الاداري لحكومة السودان سير دوغلاس ليوبولد في خطاب دوري بعث به لمديري المديريات فسي الخامس من مايو ١٩٤١ قال فيه انها انخرعت ثناء عاطراً طيلة حملتها شرق افريقيا ، ووقفت جسماً الى جنب مع الوحدات البريطانية تقاتل معها ، واحتمل رجالها الغارات الجوية ، وخاضوا نيران المدافع ، وثبتوا أمام هجمات الدبابات ، واطهروا بمسالة فائقة وقدرة عظيمة على الحركة ، تسلقوا الجبال ، وقادوا العربات المصفحة في ظروف قاسية ، واحتملوا الحر والبرد والمطر والبعد عن الأهل والديار .

ولم يكن نشاط قوة دفاع السودان قاصراً على اريتريا واشيوبيا بل

امتد الى شمال افريقيا ، الى ليبيا، حيث وقف السودان بمدق مسرع الحلفاء ، وكان ينتظر أن ترد له بريطانيا الجميل وتعترف له بحقه في الحرية .

وكان المتعلمون من ابناءه يتابعون انباء جنودهم في اعجاب وتقدير ، ويستمعون في نشوة وطرب الى المبادئ الرفيعة التي أعلى لواءها الميثاق الاطلنطي ، وبشر بها وفي مقدمتها حق الشعوب المقهورة في تقرير مصيرها . وكانت الصحافة المحلية تنشر انباء ذلك الميثاق وتعلق عليه وتستنبط المؤتمر للتعلق به .

وكان الميثاق قد أصدره مستر فرانكلين روزفلت ، رئيس الولايات الامريكية المتحدة ، ومستر ونستون تشرشل ، رئيس وزراء بريطانيا في الرابع عشر من اغسطس عام ١٩٤١ في ثمانى نقاط يعربان فيه عمن املهما في بلوغ البشرية مستقبلاً أفضل لها بعد الحرب العالمية الثانية . وكان الميثاق يؤكد فيما يؤكد حق الشعوب في تقرير مصيرها ويلتزم باحترام حق الدول في اختيار نظام الحكم الذي يلائمها وبتأييد الحكم الذاتى للدول التي حرمت منه عن طريق القهر .

وكان للجنة المؤتمر رأى في ارسال وحدات من قوة دفاع السودان الى ليبيا كشفت عنه في خطاب بعثت به لحاكم السودان العام طلبت فيه استشارة الرأى السودانى العام أو على الأقل ابلاغه ، قبل ارسال اولئك الجنود . ورأت اللجنة بعد هذا أن تتقدم للحاكم العام بمذكرة تضمنها الأمنى الوطنية للشعب السودانى مما كان له اعظم الأثر فى استنهاض الهمم ، وتوحيد الصف لاسترداد الحق السليب . . فعملت ذلك فى الثالث من ابريل ١٩٤٢ .

وكانت اللجنة التنفيذية للمؤتمر قد عهدت بصياغة المذكرة الى ثلاثة من اعضائها هم السيد اسماعيل الازهرى ، والاستاذ أحمد خير والدكتور عبد الحلیم محمد . . ونستمع الى الاستاذ أحمد يحدثنا عن

## اعداد هذه المذكرة .

يقول :-

" صيغت بنود المذكرة بعد استعراض قوانين حكومة السودان واستقراء اميات المسائل في البلاد .. وكانت الغاية من حركة المؤتمر اثارة روح الكفاح والنضال عند الجمهور السوداني بتحديد مطالب الشعب شعبية منزعجة من صميم واقع الحياة التي يحياها رجل الشارع، وتقديما لها في تركيز وايجاز يستطيع أن يصيغ منها شعاراته ، اذن فقد كان الهدف الرئيسي من وضع المذكرة ورفعها الى حكومة السودان هو خلق قضية وطنية سودانية واضحة المعالم والحدود ، وتوجيه القاشمين على قيادة الرأي العام توجيهاً سديداً .. ليس ذلك لحسب، بل أن المذكرة خلقت لدى الجمهور السوداني احساساً جازماً بأن المؤتمر ، هو الهيئة التي كان يتطلع اليها ، فأخذ يلتف حولها ، فقفزت بذلك لجانها الفرعية من احدى عشرة لجنة الى ست واربعين في طول البلاد وعرضها وعضويته من الف واربعمائه الى خمسة آلاف وثلاثمائة . "

ونلاحظ أول ما نلاحظ على تلك المذكرة انها تحدثت في وضوح لا لبس فيه ولا غموض باسم الشعب السوداني ، قالت :-

" يتشرف مؤتمر الخريجين العام بأن يرفع لمعالكم ، بصفتكم ممثلين لحكومتى صاحب الجلالة الملك جورج السادس ، ملك بريطانيا العظمى ، والملك فاروق الأول ، ملك مصر ، المذكرة التالية التي تعبر عن مطالب الشعب السوداني في الوقت الحاضر . "

وتضمني المذكرة فتحدثت عن التطور العالمي ، وأحداث الحرب ، وما يمتد ذلك في نفوس الشعب من ميل قوي لتحقيق العدل الانساني ، حرية الشعوب، وبقى ما اوضحت عنه بيانات السياسة البريطانية ومواقفها جال الديمقراطية العالميين .

ومرة أخرى يتحدث المؤتمر باسم الشعب السوداني فيقول :-

" انه كشعب من الشعوب التي تضافرت مع الامبراطورية البريطانية في هذه الحرب منذ شوبها ، قد ادرك ادراكاً صحيحاً حقوقه كشمسب يشد الحياة بعد ما يقرب من نصف قرن قضا في أحضان حكم منظم . ومؤتمر الخريجين العام الذي يمثل الرأي العام المستنير ، وهو ثمرة ناضجة من ثمرات الحكم الشائى ، يشعر بعظم مسؤوليته ازاء بلاده ومواطنيه جميعاً ، ولهذا يتقدم بهذه المذكرة راجياً أن تجد التقدير الذى تستحقه ، والترحيب الذى يطمع فيه ، وهو بعد واثق من أنها تعبر تعبيراً صادقاً عن ميول وأمانى هذه البلاد . "

هذا ما جاء في مقدمة المذكرة التى حلع فيها المؤتمر على نفسه حق الحديث باسم الشعب السودانى فى مخاطبة الحكومة ، والاعراب عن امانيه الوطنية مما كانت الحكومة قد أنكرته انكاراً تاماً ، بل جعلت اعترافها بالمؤتمر نفسه رهيناً بالآ يتحدث الآن باسم اعضائه منسب الخريجين وحدهم دون سواهم .

واشتملت المذكرة على اثنى عشر مطلباً على رأسها المطلب الخاص بمنح السودان ، بحدوده الجغرافية ، حق تقرير مصيره بعد الحسرب مباشرة ، واحاطة ذلك الحق بضمانات تكفل حرية التعبير عن ذلكسك الحق فى حرية تامة ، كما تكفل للسودانيين الحق فى تكييف الحقسوق الطبيعية مع مصر باتفاق خاص بين الشعبين المصرى والسودانى .

وتمضى المذكرة فتطالب ، فى بندها الثانى بتأسيس هيئة تمثيلية من السودانيين لاقرار الميراسية والقوانين ، وهى بهذا تنادى باشـمراك المواطنين اشراكاً فعلياً فى ادارة شؤون بلادهم وتمريها ، وتنادى للشعب السودانى بحق انتخاب الهيئة المشودة .

وتنادى المذكرة فى بندها الثالث بتأسيس مجلس أعلى للتعلـوم

أقليته من السودانيين ، وتخصيص ما لا يقل عن اثني عشر في المائة من الميزانية للتعليم . ويرى المؤتمر في قيام مثل هذا المجلس الأعلى ، بالصورة التي حددها ، ضماناً لتوسيع التعليم والتمسك بنوعيته ، ويرى في تحديد نسبة اثني عشر في المائة من الميزانية للتعليم ما يضمن توفر المال اللازم لخدمة المصلحة الوطنية وليسوغ الهدف .

وتنادى المذكرة في البند الرابع منها بفعل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية . وقد كانت السلطات التنفيذية في السودان ، ممثلة في أشخاص مديري المديريات ومفتشى المراكز ومن المهم تتمتع بسلطات قضائية تمارسها جنباً إلى جنب مع سلطاتها التنفيذية مما يتعارض ومبدأ فصل السلطات .

وكان البند الخامس من المذكرة ينادى بإلغاء قوانين المناطق المقفولة ، ورفع القيود عن الاتجار والانتقال عن السودانيين داخل بلادهم . والمناطق المقفولة المشار إليها في هذا البند هي المديريات الجنوبية والمناطق الأخرى التي يلقبها السودانيون ذوو الأصول الزنجرية ، في جنوب الفونج ، وكردفان ودارفور . وكان القانون يقضي بقتلها في أوجه السودانيين الشماليين فقرة امتدت عند رفع المذكرة للحاكم العام لعشرين سنة .

والبند السادس من المذكرة ينادى بوضع تشريع بتحديد الجنسية السودانية ، والمؤتمر بهذا المطلب منه يحدد مكان السيادة لـ السودان وينادي بمنحها لأهلها ، ولم تكن حكومة السودان حينئذ تعترف بالسودانية جنساً للسودانيين ، ولم يكن في البلاد قانون يحدد تلك الجنسية .

والبند السابع يطالب بوقف الهجرة إلى السودان فيما عدا ما قررتة المعاهدة الانجليزية المصرية لعام ١٩٣٦ ، والتي اذنت بهجرة

المصريين على أن تستوفى مقتضيات الصحة ولا تتعارض مع النظام العام ،  
والهجرة التي طالب المؤتمر بوقفها هي هجرة الأثارة من غرب أفريقيا .

والبند الثامن في المذكرة ينادى بعدم تجديد عقد شركة السودان  
الزراعية في مشروع الجزيرة . وكان هذا العقد مقررأ له أن ينتهي في  
عام ١٩٥٠ . وكانت هذه الشركة مسؤولة ، منذ قيام المشروع ، عن  
ادارته ، وعن حلق القطن وتسويقه ، وكانت تحمل مقابل هذا العمل  
على عشرين في المائة من عائد القطن الذي ينتجه المشروع .

والبند التاسع ينادى بإعطاء السودانين فرصة الاشتراك الفعلي في  
الحكم بتعيينهم في الوظائف ذات المسؤولية السياسية في جميع فروع  
الحكومة الرئيسية ، وقصرها على السودانين على أن تملأ الوظائف  
التي تدعو الضرورة لملئها بغيرهم بمقود محدودة الأجل ، يتسدرج  
خلالها السودانيون لملئها في نهاية فترة تلك المقود وذلك تطبيقاً  
لمبدأ الرافاهية والأولوية في الوظائف الذي جعلته معاهدة ١٩٣٦ بين  
بريطانيا ومصر هدفاً لها .

والبند العاشر ينادى بتمكين السودانين من استغلال موارد البلاد  
التجارية والزراعية والصناعية .

والبند الحادي عشر يطالب بالزام الشركات والمبوتات التجارية  
الاجنبية بتخصيص نسبة معقولة من وظائفها للسودانيين . أما البند  
الثاني عشر والأخير فيطالب بوقف الاعانات لمدارس الرساليات وتوحيد  
برامج التعليم في الشمال والجنوب . وكانت حكومة السودان حتى وقت  
تقديم المذكرة لها، وبعده بسنوات عدة تعهد بمسؤولية التعليم في  
الجنوب للجمعيات التبشيرية المسيحية، وتمنحها اعانات سنوية مساعدة  
لها في الجهود بهذا العمل . وكانت مناهج التعليم في الجنوب  
تختلف عنها في الشمال ، بل وكانت بعض الكتب التي تعدها الكنائس  
تشير حفيظة أهل الجنوب على أهل الشمال وتباعد بينهما .

هذه هي المقاط والمطالب التي اشتملت عليها المذكرة الشهيرة التي ردتها الحكومة له في التاسع والعشرين من ابريل ١٩٤٢ مع خطاب من السكرتير الاداري ، سر دوقلاس ميبولد يقول فيه "انه ليس في استطاعة الحاكم العام قبول تلك المذكرة ، وهي لهذا مردودة لكم " ثم يعض فينكر على المؤتمر حقه في التحدث باسم شعب السودان ، ويهدد بسحب الحكومة لاعترافها منه ، ويتوعده ويتهدده ، ولكن هذا الوعيد منه لا يزيد الخريجين الا تمسكاً بمطالب مؤتمرهم ، ويستمر تبادل المذكرات بين الفريقين . بل ويتم لقاء بين السكرتير الاداري وبعض قادة المؤتمر لتلطيف الجو ، واسترداد الثقة بينهما ولكن دون جدوى . ويتعرض ذلك الموقف من حكومة السودان الى نقد من بعض كبار البريطانيين والمؤرخين .

يقول المؤرخ البريطاني مستر هولت استاذ التاريخ بجامعة لندن ، والذي كان قد عمل لبعض الوقت في جامعة الخرطوم ، يقول في كتابه " تاريخ السودان الحديث " :

" لكن جاز لنيبولد ان يرد على هذه المذكرة رداً حازماً ، فكيف يسوغ لنفسه ان يطلع بذلك الرد منه أقصى درجات الفظاظة ؟ وعلى الرغم من أنه حاول أن يطفئ من لهجته في محادثاته الخاصة مع بعض قادة المؤتمر، فإن رده كان يعكس السياسة الرسمية لحكومة السودان مما أدى الى أزمة ثقة عادة . ليس ذلك وحده ، بل كان من النتائج الوخيمة لذلك الموقف انقسام المؤتمر نفسه ، فبينما كان فريق من اعضائه على استعداد لتقبل وعود الحكومة ، والثقة في نواياها ، كان الفريق الآخر ، بقيادة الأزهرى - قد كفر بدوافع البريطانيين في السودان ، وانجده - كما فعل على عهد اللطيف قبله - الى مصر للتحالف معها . وهكذا عادت الوحدة وادي السيل من جديد شعاراً تلتف حوله بعض العناصر الوطنية السودانية ، وكان نفوذ الأزهرى بين المتعلمين من الشباب وعند أهل المدن والمعتبرين عظيماً ، واستطاع ان يمسسه ان



يسيطروا على المؤتمر . "

ويقص علينا الاستاذ أحمد خير أنه كان هناك فريق في اللجنة التنفيذية ، يؤيده فريق محدود في الهيئة العامة - ولعله كسبسان رعيمهم - يدعى أن يندفع ضد حكومة السودان الى نهاية المطاف ليضطرها لاتخاذ اجراء تعسفى ضد المؤتمر بحله واعلانه هيئة غير قانونية، أو ضد اعضائه بتحريم الاشتغال بالسياسة عليهم ولكن هذا الاتجاه لم يجد قبول الأكثرية .

ويمضى الاستاذ أحمد خير فيقول :-

لم تقف حكومة السودان جامدة ازاء الهجوم الذى قامت به الجبهة الشعبية بل عملت على صده بأسلوب عملى فأصدرت في سبتمبر من عام ١٩٤٢ قانوناً بإنشاء المجلس الاستشارى لشمال السودان استهدفت به أن يصيب عصفورين بحجر . . فمن شأنه أولاً أن يرضى العناصر المتطلعة الى التعاون معها ، ويمكنها من تلمس الأسباب المقنعة لذلك التعاون ، كما من شأنه من جهة اخرى أن يركز سياستها وبقيها على دعائم من رضا الشعب ومساهمته في ظاهر الأمر . وثمة هدف ثالث ربما كان مائلاً في اذهان القاشمين على شؤون الحكم والسياسة في السودان ، ذلك أن في صفوف الخريجين وفي دوائس المؤتمر وعياً قومياً لا بد من اتخاذ الأهبة ضده ، وقطع الطريق عليه بإنشاء هيئة يكون لها دون غيرها حق التعبير عن السودانين والفصل في مصير البلاد .

"وهبت الصحافة عن بكرة أبيها تنافس مشروع المجلس الاستشارى . وقد ساهم في المعارضة كبار الخريجين من صفوف المعتدلين فوجهوا له سهام النقد والتجريح . وكان اثبات سوء النية سهلاً يسيراً لان المشروع جاء قاصداً على شمال السودان .

" اشتدت المعارضة للمجلس الاستشاري اشتداداً اضطر المكرّمين الإداري وقتئذ ، سير دوقلاس نيوبولد ، أن يتولى بنفسه اعباء الدفاع ، فألقى من الاذاعة خطاباً طويلاً لم يحول الرأي العام قيد أنملة عما سبق وأجمع عليه ، بل راد نار المعارضة اشتعالاً .

"وكان هذا الاحماع خليفاً بأن يحد امدااه في صفوف المؤتمر ، فتقدم بمذكرة عددت حيثيات المعارضة وحججها ولما لم يبد على الحكومة ما يفيد تراجعها عن عزمها توج المؤتمر روح المعارضة بقصرار لا ريب في خطوته ، اد اعلى مقاطعته للمجلس الاستشاري واعتبار كل من يتقدم لعضويته خارجاً على المؤتمر ومفصلاً عنه .

" لقد كان القرار حاسماً وصريحاً قاصمة للمجلس أضعف من هيئته ومكانه في النفوس ، وزاد من قوته واثره أن بعده بعض من وضعتهم الظروف موضع الامتحان من كبار الخريجين اد اعتدروا عن قبول عضوية عينهم فيها الحاكم العام لأنهم ملزمون بقرار المؤتمر . وكان لفساد القرار ان جرد المجلس من مظاهر التمثيل التي كانت ترجوها الحكومة مما اضطرها الى ترفيته درجة أخرى قبل أن يبلغ أشده . "

وأخيراً فامنا ثبتت هنا سر المذكرة التي اشرك الاستاذ أحمد خير في اعدادها والتي كانت نقطة تحول في السياسة السودانية وتاريخ مؤتمر الخريجين العام نسبة لأهميتها من ناحية ولتعمكس الناشئة من ابناء الاجيال الحديثه من الاطلاع عليها :-

حضره صاحب المعالي حاكم السودان العام :

بواسطة سعادة السكرتير الإداري لحكومة السودان ،

يا صاحب المعالي :

يتشرف مؤتمر الخريجين العام بأن يرفع لمعاليتكم بمفتكم ممثلين لحكومتي صاحبي الجلالة الملك جورج السادس ملك بريطانيا العظمى

والملك فاروق الاول ملك مصر المذكرة الثالثة التى تعبر عن مطلب الشعب السودانى فى الوقت الحاضر .

ان التطور العالمى واحداث الحرب الحالية قد بعثت فى الشعوب ميلاً قوياً لتحقيق العدل الانسانى وحرية الشعوب كما أفصح ذلك تصريحات الماسة البريطانيين وموثيق رجال الديمقراطية العالميين .

والسودان كشعب من الشعوب التى تضالرت مع الامبراطورية البريطانية فى هذه الحرب منذ نشوبها قد أدرك ادراكاً صحيحاً حقوقه كشعب بنشد الحياة بعد ما يقرب من نصف قرن قضاء فى أحضان حكم منظم . ومؤتمر الخريجين العام الذى يمثل الراى العام المستنير وهو ثمرة ناهجة من ثمرات الحكم الثنائى يشعر بعظم مسئوليته ازاء بلاده ومواطنيه جميعاً

ولهذا يتقدم بهذه المذكرة راجياً أن تجد التقدير الذى تستحقه والرحيب الذى يطمح فيه وهو بعد واثق من أنها تعبر تعبيراً صادقاً عن ميول وأمانى هذه البلاد .

١ - اصدار تصريح مشترك فى اقرب فرصة ممكنة من الحكومتين الانجليزية والعصرية بمنح السودان بحدوده الجغرافية حق تقرير مصيره بعد الحرب مباشرة واحاطة ذلك الحق بضمانات تكفل حرية التعبير عن ذلك الحق حرية تامة كما تكفل للسودانيين الحق فى تكميف الحقوق الطبيعية مع مصر باتفاق خاص بين الشعبين المصرى والسودانى .

٢ - تأسيس هيئة تمثيلية من السودانين لاقرار الميزانية والقوانين .

٣ - تأسيس مجلس أعلى للتعليم أغلبيته من السودانين وتخصيص ما لا يقل عن ١٢ فى المائة من الميزانية للتعليم .

٤ - فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية .

٥ - إلغاء قوانين المناطق المقفولة ورفع قيود الاتجار والانتقال من

السودانيين داخل السودان .

- ٦ - وضع تشريع بتحديد الجنسية السودانية .
- ٧ - وقف الهجرة الى السودان فيما عدا ما قرره المعاهدة الانجليزية المصرية .
- ٨ - عدم تجديد عقد الشركة الزراعية بالجزيرة .
- ٩ - تطبيق مبدأ الرأية والأولية في الوظائف وذلك :-

أ - باعطاء السودانيين فرصة الاشتراك الفعلى في الحكم بتعيين  
سودانيين في وظائف ذات مسئولية سياسية في جميع فروع  
الحكومة الرئيسية .

ب - قمر الوظائف على السودانيين اما المصائب التي تدعو الضرورة  
لملئها بغير السودانيين تملأ بمقود محدودة الأجل يتدرب في  
أثناءها سودانيون لملئها في نهاية المدة .

- ١٠ - تمكين السودانيين من استثمار موارد التجارة والزراعة والصناعة .
- ١١ - وضع قانون بالزام الشركات والهيئات التجارية بتحديد نسبة  
مقولة من وظائفها للسودانيين .
- ١٢ - وقف الاعانات لمدارس الارشاليات وتوحيد برامج التعليم في  
الشمال والجنوب .

هذه هي المطالب التي نرى في استجابتها ارضاء لرغبات السودانيين  
في الوقت الحاضر والمؤتمر يتطلع الى معيشتكم وبأمل أن يحظى بما يفيد  
الموافقة عليها والشروع في تنفيذها .

وتفضلوا يا صاحب المعالي بقبول فائق الاحترام ،

خادمكم المطيع : ابراهيم أحمد رئيس مؤتمر الخريجين العام

أم درمان في ٣ ابريل سنة ١٩٤٢

## الفصل الثامن

### السوابن ومفاوضات لقاهرة

أدى موقف الحكومة من المؤتمر واعدادها لانشاء المجلس الاستشارى لشمال السودان الى انقسام الحريجين الى فريقين ، الأول منهما يتسم بالاعتدال ، ويثق فى وعود حكومة السودان ، ويتعاون معها لتحقيق أهدافه الرامية الى اشراك السودانين فى الحكم ، والثانى يتهمها بمعاداة الطبقة المستعمرة ، وانكار حق المؤتمر فى التحدث باسم السودانين ، وبالتالي رفضها نقل آرائه الى دولتى الحكم الشائسى ، ومضيها قدماً فى تنفيذ سياستها الرامية ، فيما كانوا يقولون ، لاختراع السودان ، وعزله عن العالم الخارجى . ويتهمونها بعدم الأمانسنة والتسلط .

وكان ذلك أخطر انقسام يتعرض له المؤتمر منذ انشائه . ورأى الفريق الذى فقد الثقة فى حكومة السودان أن يتجه نحو مصر ، وأن يتعساون معها لتحرير السودان من قبضة الانجليز واستعمارهم ، وأن يكون ذلك برفع شعار الاتحاد معها تحت الناج المصرى .

وكان بين الفريق الأول الذى فقد الثقة فى الانجليز ، بل قاشده ، السيد اسماعيل الازهرى الذى تولى رئاسة المؤتمر دورات عدة . وكان منهم أيضاً صاحبها الذى نترجم قصة حياته فى هذه الصفحات .

وترتب على هذا الانقسام أن انسحب المعندولون من المؤتمر ، فانشأوا حزب الأمة الذى جعل شعاره " السودان للسودانيين " ، ومبدأه استقلال السودان . وقامت معه أحزاب استقلالية أخرى صغيرة . وكسائر

حزب الأمة يتمتع بتأييد الأنصار بزعامة سيادة السيد الامام عبد الرحمن المهدي .. ونشأت من الناحية الأخرى أحزاب اتحادية ، كان أكبرها حزب الأشقاء الذي استمد سنده الشعبي من طائفة الختمية بزعامة سيادة السيد علي الميرغني واستفاد من الخلاف الذي كان قائماً بين الطائفتين والتنافس بين زعيميهما .. وكانت الأحزاب الاتحادية تنسادي بالاتحاد مع مصر على درجات متفاوتة .. تبلغ في حالة المغالين منهم كحزب وحدة وادي النيل ، درجة الاندماج فيها ، وفي حالة أضعفهم اتحادية ما هو دون هذا بكثير .

وكانت الحكومة المصرية في سبتمبر من عام ١٩٤٥ قد أبدت لبريطانيا رغبتها في تعديل معاهدة ١٩٣٦ بما يحقق الأمن القومي لسكان وادي النيل واستجابت الحكومة البريطانية ، وتقرر أن تبدأ المفاوضات في القاهرة في مارس من عام ١٩٤٦ .

يقول أحمد خير وهو يصف الموقف في السودان على اثر سماع انباء القاهرة :-

" استيقظ الرأي العام في السودان وأفاق من غيبوبة الحيرة ، ولزع من نفسه شعور اليأس . ثم تعاقبت الحوادث وتلاحقت في القاهرة ، وانتهت بقبول الحكومة الانجليزية الدخول في مفاوضات مع مصر لتعديل معاهدة ١٩٣٦ . هنا انتابت الرأي العام السوداني هزة انتكاس وخيبة أمل ، وكان من دواعي هذا الاشفاق وهذا القلق أن ضاعف العزم وشحذ الهمم . وعاد شبح التجربة القاسية التي مرت بالسودان عقب معاهدة ١٩٣٦ يلوح في الأفق ، وكان من رأي الكثيرين ألا يتركوا هذه الفرصة تغترب من أيديهم .

" واتجهت الأنظار الى المؤتمر ، وقدمت له الاقتراحات لارسال وفد يمثل جميع الأحزاب ، وقابل قادة المؤتمر هذه الروح بمثلها ، وأعلنوا

عن عزمهم على ارسال الوفد ، وطلبوا الاكتتاب لتكوين المال اللازم له ، لكن الدعوة لم تهز الرأي العام كما كان مقرراً لها ، اذ اتضح أن المؤتمر منطو على ارسال وفد يتسم بالقومية ويقوم على الحزبية ، وذلك بأن يجند بعض الاشخاص بصفتهم الشخصية ، تختارهم لجنته اختياراً لا بتقيد بتمثيل الاحزاب ، أو يكون للأحزاب رأى فى ايفادهم . وبينما كان الوسطاء يتباحثون فى هذه المسائل الدقيقة ، جاء من القاهرة فجأة ودون مقدمات صوت يحمل عتاب الطلبة القاهريين على زملائهم فى السودان لموقفهم السلبي من قضية الحرية . واستجاب طلبة المدارس العليا لهذا النداء ، وسارت فى الخرطوم أول مظاهرة بعد مرور اثنتين وعشرين سنة على حوادث ١٩٢٤ . وسرعان ما تكهروا الجو ، واقتدى بالمدارس العليا وسايرها طلبة المدارس الثانوية فى الخرطوم وأم درمان وضواحيها ، فأعلن المؤتمر قراراً بارسال وفد ، بل حدد الثاني والعشرين من مارس ١٩٤٦ موعداً لسفره . وكان المؤتمر مصراً على قصر عضوية الوفد على الوضع الذى ذكرنا سابقاً ، غسر أن مؤتمرى القاهرة ، وكانوا ممن اقترحوا قدوم وفد سودانى ، نصحوا بضرورة تمثيل الأحزاب كلها . ومن جهة أخرى فان الوسطاء فى الخرطوم من صفوف الخريجين ، ومن اتحاد الطلبة ، تدخلوا تدخلاً ايجابياً وحازماً ، بدا معه أن سفر وفد لا يمثل الأحزاب أمر محفوف بالعقبات والعراقيل . وانتهى الأمر فى المويجات الأولى من صباح ٢٢ مارس على تمثيل الاحزاب . وتغلب الوسطاء على سبة التمثيل ، فبارح أول فوج الخرطوم يوم ٢٢ مارس ولحق به الآخرون تبعاً فى ظرف اسبوع . وكان وداع الجماهير ضخماً وحافلاً مما يعكس ضخامة الآمال التى كان يعلقها عليه .

وكانت الاحزاب السياسية قد اتفقت على ميثاق التفتت حوله ينص على ما يلى :-

١ - قيام حكومة سودانية ديمقراطية في اتحاد مع مصر وتحالف مع بريطانيا ، على أن تختار الحكومة السودانية عند قيامها نوع التحالف مع بريطانيا على ضوء ذلك الاتحاد .

٢ - طلب تعيين لجنة مشتركة ، نصفها من ممثلى الحكومة الثابتة ، والنصف الآخر من ممثلى الطبقة المستمرة من السودانيين ، على أن يتولى المؤتمر تعيين الممثلين السودانيين ، تتولى مقاليد الحكم فى البلاد فى أقصر أمد ممكن بشرط أن تعطى الحكومة لهذه اللجنة كل التسهيلات اللازمة لاداء مهمتها ، وأن تستلزم بتنفيذ توصياتها .

٣ - المطالبة باطلاق الحريات العامة كحرية الصحافة ، والاجتماعات ، والتنقل ، والتجارة فى حدود القوانين العامة التى تتماشى مع الأسس الديمقراطية الصحيحة ، وتعديل القوانين الخاصة القائمة المقيدة لهذه الحريات .

وقد وقع على هذا الميثاق مندوبو الأحزاب تأكيداً لرغبتهم فى الائتلاف ، مما اعتبره الاستاذ أحمد خير خطوة موفقه قاشلاً :

" الدليل على ذلك ( التوفيق ) أن وزير الخارجية البريطانية أحسن خطورته ، فوقف بهاجمه فى مجلس العموم وبقلل من شأنه ، وينكسر تمثيله للسودان أو تأييد الرأى العام السودانى له . ثم استطاع سرد الوزير معلماً أن سياسة بريطانيا نحو السودان هى اعدادة للحكم الذاتى ، والأخذ بيده نحو الاستقلال . "

وكان صاحبنا أحد اعضاء الوفد السودانى للقاهرة . ولم يكن الميثاق الذى التقت حوله الأحزاب الممثلة فى الوفد مرضياً للزعيماء والسياسة المصريين الذين استقبلوا الوفد بحماسة منقطعة النظير ، اذ رأوا فيه ضعفاً ووهناً بالنسبة لما كانوا يتطلعون اليه وهو اتحاد البلدين



تحت التاج المصري .. ومارست الأحزاب والتنظيمات السياسية علمسي  
الوفد ضغطاً شديداً ليتخلى عن ميثاقه ، وينادي بها كانت تنشده ..  
وأدى هذا الموقف في نهاية المطاف الى انقسام الوفد ، وانسحاب حزب  
الأمة منه ، فاقترنت عضويته بعد هذا الانسحاب على الأحزاب الوجودية ..  
وكان صاحبنا يقف معها ويؤازرها لا حباً في التاج المصري أو إيماناً  
منه به ، ولكن لأنه كان ، السبيل الوحيد عنده للتحرر من القبضة  
الانجليزية .

ولم يجد الوفد من الحكومة المصرية ما كان يتطلع اليه من ترحاب ..  
بل لعل الحكومة المصرية في ذلك الوقت كانت تحرم على حل القضية  
المصرية ، وتحقيق مطالب الشعب المصري في الجلاء . وأكثر مما كانت  
تحرم على حل قضية السودان .. من هنا كان وجود الوفد السوداني في  
القاهرة مبعث ضيق لها . أما الأحزاب الأخرى ، لاسيما حزب الوفد  
صاحب الأغلبية الشعبية ، فقد احتضن الوفد ، وقدم له من العون كل  
ما طلب ، وفتح له صفحات جرائده لبشر فيها بمبادئه . وكانت هذه  
فرصة عظيمة لصاحبنا يعبر فيها عن آرائه السياسية .. ووجد في  
الدكتور محمد مندور ، رئيس تحرير جريدة الوفد المصري صديقاً  
و زميلاً منامراً ومؤازراً يختصه بعنايته .. وكان الاستاذ أحمد خير في  
ذلك الوقت جامعاً في تطرفه لا يقف في سبيله شيء .. ولم يقتصر  
نشاطه على ما كان ينشر من مقالات في صحيفة " الوفد المصري " ، بل  
أصدر أيضاً كتابه " مآسي الانجليز في السودان " الذي تبناه الوفد ،  
وكان له رأي محدد في اغراض اتحاد السودان مع مصر ومراميه هو  
توطيد لركان الديمقراطية ، وتوفير اسباب السعادة والحرية الكريمة ،  
وتجنب المواطنين الوقوع في الاخطاء التي وقع فيها غيرنا —  
المجتمعات الانسانية .

اذن فقد كانت الدولة الفدرالية المؤلفة من مصر والسودان عنده ،  
كما ورد في كتابه " كفاح جيل " سبيلاً للديمقراطية النشطة

تكفل للمواطنين في مصر والسودان على السواء حرية القول بجميع وسائله ، وحرية العقيدة ، ونهى للجميع الفرص بالتسبب ، واللامركزية الادارية .

هذه كانت اهدافه ومبادئه ، التحرر من قبضة الاستعمار الانجليزي ، والتعاون الصادق بين الشعبين الشقيقين لتحقيق الحرية والديمقراطية وسيلة لخير المجتمع وعزة الانسان ،

وانتقلت المفاوضات من مصر الى لندن . وتم اتفاق مبدئى بين رئيس الوزراء المصرى اسماعيل صدقى باشا ووزير الخارجية البريطانى مستر لونسديفن حول مسألة السودان التى كانت توصف دائماً بأنها المخزة التى تتحطم عندها المفاوضات . وكان ذلك الاتفاق الذى وقعه الرجلان بالأحرف الأولى من اسميهما واسميهما " بروتوكول السودان " قد اعترف بوحدة مصر والسودان ، ونهى على ما يلى :

" ان السياسة التى يتعهد الطرفان الساميان المتعاقدان باتباعها فى السودان ، فى نطاق وحدة مصر والسودان تحت تاج مصر المشترك ، ستكون اهدافها الأساسية تحقيق رفاهية السودانين ، وتنمية مصالحهم ، واعدادهم اعداداً فعلياً للحكم الذاتى ، وتبعاً لذلك ممارسة حق اختيار النظام المقبل للسودان . والى أن يتسنى للطرفين الساميين المتعاقدين بالاتفاق التام المشترك بينهما تحقيق هذا الهدف الأخير بعد التشاور مع السودانين ، تنقل اتفاقية ١٨٩٩ سارية ، وكذلك المادة ( ١١ ) من معاهدة ١٩٣٦ مع ملحقاتها . . . . "

ويختلف المفاوضات بعد هذا فى تفسير هذا البروتوكول على اثر الانتفاضة التى انطلقت ضد عن الجبهة الاستقلالية وفى مقدمتها حزب الأمة فى السودان . . مصر ترى ألا سبيل لانفصال السودان من قبضة تاجها وخضوعه له . . وبريطانيا ترى أن البقاء تحت التاج المصرى أو خروج منه رهين بارادة السودانين . .

وازاء هذا الاختلاف تفشل المفاوضات من جديد ، ويستقبل رئيس الوزراء المصري ، ويحل محله رئيس وزراء جديد هو محمود فهمى النقراشي باشا الذى ينتقل بالقضية الى مجلس الأمن ، ويطلب منه اتخاذ قرار بابعاد الانجليز عن السودان ، والاعتراف بالسيادة المصرية عليه . ولكن مجلس الأمن ، يرفض هذا النداء ، ويقر لأهل السودان بحق تقرير المصير ، ويعلق القضية المصرية . وفي الخرطوم تمضى حكومة السودان قدماً فى تنفيذ سياستها فتعلن عن قيام الجمعية التشريعية والمجلس التنفيذى بديلاً للمجلس الاستشارى ، وتمهل مصر بعض الوقت للموافقة على هذه الخطوة ومباركتها وتأيبدها قبل أن تضعها موضع التنفيذ . ولكن مصر تأبى أن تستجيب .

وينقسم الراى السودانى العام الى فريقين ازاء هذه الأحداث ، الجبهة الاستقلالية تؤيدها ، وتعتبرها خطوة ايجابية فى طريق التطورات الدستورية المؤدية للحكم الذاتى للاستقلال . والاتحاديون يرفضونها ويقاومونها . ويهزمون الطرقات بمظاهراتهم ضد المناابر باستنكارهم لها . ويصطدم المتظاهرون برجال الأمن ، ويسقط فى هذه المظاهرات شهداء فى عطبرة وپورتسودان والخرطوم ، وكسان الاستاذ صاحبنا فى هذا الوقت قد عاد من القاهرة الى السودان ومضى الى مكان عمله فى المحاماة بواد مدنى . وأخذ هناك يلهب المشاعر ضد الجمعية التشريعية ، ويقود المظاهرات .

ويلقى عليه القبض

ويقدم للمحاكمة . وتدينه المحكمة ، وتحكم عليه بالسجن سنتين يحضى جزأاً منهما بسجن واد مدنى ثم ينقل الى السجن العمومى فى الخرطوم بحرى - كوبر - فيجد معه فيه كثيراً من قادة الاحزاب الاتحادية الذين قاوموا الجمعية التشريعية فى الخرطوم من امثال السيد اسماعيل الأزهرى ، ويحى الفضلى ، وخضر عمر ، وسليمان موسى ،

ومحمد نور الدين وغيرهم كثير .

و ذات يوم يزور السجن المستر هيز ، استاذ صاحبنا في مدرسة الحقوق ومديقه .

وكان المستر هيز قد انتقل من التدريس الى منحة القضاء في الهيئة القضائية .

وتحدث الرجلان .. أحمد في ملابس سجنه .. مرسل الشحسر ، قليل الاهتمام بمظهره يحكي للزائر قصة سجنه .. والاستاذ يستمع ويعلق ، وتنتهى الزيارة .. ويعود المستر هيز من حيث أتى ..

وما هو الا ولت قصير ، ايام معدودات ، حتى تخلف فترة السجن من عامين الى ستة اشهر ويمنح أحمد معاملة خاصة .

ويخرج من السجن بعد أن يحفى فترة عيسه ، أمليب عوداً، واشدد تصميماً على مقاومة الاستعمار .

. ويظل هذا دأبه حتى يوليو ١٩٥٢ عند قيام الثورة المصرية التي اطاحت بالملكية في مصر . عرش الملك فاروق .. وانفرت فيها بعسد للشعب السوداني بحق تقرير المصير على اثر مفاوضاتها مع قسادة احرابه .. وعقدت مع بريطانيا اتفاقية السودان التي قضت بقيام الحكم الذاتى ، وتمهية الحكم الثنائى وتقرير المصير على اساس الاستقلال أو الاتحاد مع مصر ..

وكان ذلك فى الثانى عشر من فبراير ١٩٥٢ .

وتشاء المصدف أن يكون هذا اليوم، الثانى عشر من فبراير، هو نفس اليوم الذى عقد فيه مؤتمر الخريجين العام اجتماعه التأسيسى بـإحدى خريجي مدارس السودان بأم درمان عام ١٩٣٨ .

## الفصل التاسع

### انقلاب نوفمبر ١٩٥٨

كان حزب الأشقاء قد انقسم على نفسه في مستهل الخمسينيات ، فريق منه يرأسه السيد اسماعيل الأزهرى ، ويقف معه فيه السادة يحيى الفضلى وأخوه محمود ، وإبراهيم جبريل ، ومبارك زروق ، وأمام إبراهيم ، وحسن عوض الله ، وإبراهيم العفتى ، وبابكر القباسى . وعلى حامد وغيرهم من المؤسسين الأصليين للحزب . وكان يرأس الفريق الآخر السيد محمد نور الدين ، وكيهله قبل الانقسام ، ويقف معه السادة خضر عمر ، وأحمد خير ، وحسن أبو حبل ، وعثمان خاطسر وعلى الشيخ البشير وآخرون . وكانت الثورة المصرية بقيادة اللواء محمد نجيب ، التى اندلعت فى يوليو من عام ١٩٥٢ ، قد دعت قادة الفريقين فى من دعت من قادة الأحزاب السودانية فى أكتوبر من ذلك العام ، للتشاور معهم حول أمر السودان ، والحكم الذاتى فيه ، وتصفية الحكم الثنائى توطئة لتقرير المصير ، والاتفاق على أسس للمفاوضات التى كانت على وشك الدخول فيها مع بريطانيا .

وكان هذا الانقسام فى حزب الأشقاء ، أكبر الأحزاب الاتحادية ، وأكثرها نفوذاً ، يثير قلق مصر على القضية الاتحادية التى كانت تحرس عليها ، وكانت قد بذلت بعض الجهود فى الخرطوم لرأب الصدع ، ولكنها انقطعت بسبب السفر إلى القاهرة . واستطاع اللواء نجيب ، بما عهد فيه من حسن التعمد ، وما كان يربطه بالفريقين من أواصر المداقة ، أن يؤثر على الأحزاب الاتحادية كلها لتوحيد كياناتها فى حزب واحد ، تتوفر له أسباب الفور فى انتخابات الحكم الذاتى . وتم الاتفاق فى لقاء له مع قادة هذه الأحزاب على اسناد مسئولية هذا

التوحيد لثلاثة رجال ليس من بينهم أحد من الاشقاء ولكنهم موضع ثقة الأحزاب كلها ، هم السادة ميرغني حمزة من كبار الخريجين ومؤسسي المؤتمر من قادة حزب الجبهة الوطنية ، ومستشاري سيادة السيد علي الميرغني ، زعيم طائفة الختمية ، والدرديري أحمد اسماعيل ، زعيم حزب وحدة وادي النيل ، وخضر حمد من قادة حزب الاتحاديين ومؤسسيه .

وكان لهذا الجهد من اللواء لجيب مدى حسن في نفوس الأحزاب الاتحادية التي كانت تخشى الفشل في الانتخابات ان هي خاضتها مشتمة مقسمة .. وحتى بتأييد من الصحافة المصرية ، وقد علقنا عليه صحيفة " المصري " التي كانت قبل الثورة تنطق باسم حزب الوفد ، فسي عددها الصادر في مستهل نوفمبر من عام ١٩٥٢ تقول :-

" الفت لجنة ثلاثية لادماج الأحزاب الاتحادية في السودان ، ولنا في حاجة الى القول بأنه على عمل هذه اللجنة يتوقف النجاح الكامل لهذه الخطوة التاريخية ، وعلى حكمة اعضائها يحقق الاتحاديون نسبي السودان هذا الأمل الذي داعب نفوسهم مرات ولكن الخطى مسوات التنفيذية كانت تتعثر ، لأن النفوس لم تكن ، فيما يبدو ، مهتساء لهذا الاتحاد المنشود . والواقع أن حكمة هذه اللجنة وشعورها بالمسئولية الملغاة على عاتقها ، واستهداف المصلحة العامة وحدها ، هي التي تؤدي الى أن يتكتل الاتحاديون ويمسحوا قوة واحدة .. قوة تبين مبلغ الفائدة أو المصلحة المشتركة التي ستعود على الوادي من هذا الاتحاد ، ولعل هذه الأمنية ليست أمينة ، بل هي أمنية شعب وادي النيل ، ثم هي أمنية الأشخاص الذين اشتركوا في هذا العمل ، والذين انتهوا به الى تحقيق الاتحاد . "

يحدثنا السيد خضر حمد في مذكراته أن تلك اللجنة استعرضت الظروف والملازمات التي حملت رؤساء الأحزاب الى اتخاذ ذلك القرار

الوطني الحاسم فيما يختص بحل احزابهم ، وهيئاتهم ، ودمجها ضمن رغبة في حزب واحد ، تذوب فيه المطامع والمظاهر . ورأت ألا تدخل الطيدين بحى الفضلى وخضر عمر فى اللجنة التنفيذية للحزب المقترح حتى تستقر الأوضاع فيه ، لأن الخصومة بينهما كانت غديســـــدة ، والتعاون شبه مستحيل، وأن تقصى أيضاً السيد باكر القباني من هيئــة الحزب ، بسبب حالته الصحية فى ذلك الوقت ، وضعف ثقة السيد محمد نور الدين فيه . واتفق أعضاء اللجنة أيضاً على ترك أمر تكوين مكتب الحزب الى الهيئــة واللجنة التنفيذية ، ولكن اللواء محمـــــد نجيب ، عند اجتماع اللجنة به ، قبيل اعلان مقترحاتها على زعماء الأحزاب ، تمسك بضرورة اختيار المكتب حتى لا يتعرض الاتفاق الى خطر .. وقررت اللجنة ، ومعها اللواء نجيب ، أن تختار السيد اسماعيل الأزهرى للرئاسة ، والسيد محمد نور الدين للوكالة ، والسيد خلف الله خالد أميناً للمندوق ، وتم أيضاً اختيار السيد خضر حمد سكرتيراً عاماً .. وأعلن مشروع التكوين بحمل اسم الحزب وهو " الحزب الوطنى الاتحادى " وأهدافه ، وادارته ، ولجنته التنفيذية ، وهيئــته العامة ، أعلن على قادة الأحزاب فنال مباركتهم وتأييدهم ، وأعلن الحزب الجديد منذ تكوينه يمارس نشاطه رغم ما كان فى بعض النفوس من غضب .

ويقول اللواء محمد نجيب عن هذا الحدث الهام فى كتابه " كلمتى للتاريخ " ما يلى :-

" كانت الخطوة الأساسية الأولى هى جمع السودانيين بمختلف احزابهم على موقف موحد تعاونهم فيه مصر .. وقررت من أجل ذلك دعوة جميع زعماء الأحزاب السودانية الى القاهرة ومعهم الزعيمـــــان المهدي والمرغنى .

" وجاءت وفود الأحزاب السودانية ، وحضر السيد عبد الرحمن المهدي ، واعتذر السيد على المرغنى عن عدم امكانه الحضور فسـى

فصل الشتاء ، وأجل موعد زيارته للصيف .

" وبدأنا المفاوضات مع وفود الأحزاب السودانية .. وكان معظمهم أعضاء الوفود من معارضي واصدقائي وزملاء دراستي .. وكانت تربطني بهم علاقات وثيقة متجددة .

" ورأست هيئة المفاوضات مع الوفود السودانية .. ولم تطل كثيراً حيث وجد السودانيون منا صديقاً مفتوحاً ، ولمسوا منا حرصاً على التعاون ، وتأكدوا أن اللعبة الإنجليزية لا تستهدف سوى تمهين استغلال السودان وفرض العزلة عليه بعيداً عن مصر .

" وكان هدفي الأول بعد ذلك هو توحيد الأحزاب السودانية الاتحادية حتى تجتمع كلمتهم على رأي واحد .. وقد وافقت هذه الأحزاب على ذلك باتصالاتي الشخصية معهم ، وفوضت لجنة ثلاثية من الدردريسي أحمد اسماعيل وخضر حمد وميرغني حمزة . "

" ولم يطل عمل اللجنة كثيراً .. انتهت بعد أربعة أيام فسي ٣ نوفمبر ١٩٥٢ من وضع ميثاق تأليف الحزب .. واذكر أنهم حضروا جميعاً الى دارى ، ووقعوا فيها ميثاق تأليف " الحزب الوطنى للاتحادى " الذى ضم كافة الأحزاب الاتحادية .. وكان ذلك قبل بسنة مباحثاتنا مع الحكومة البريطانية .

" اختار الحاضرون اسماعيل الازهرى رئيساً للحزب ، ومحمد نور الدين ناشياً له ، ونص دستور الحزب على جلاء الانجليز وقيام اتحاد مع مصر بعد تقرير المصير .

" كانت هذه اللحظات من امتع فترات حياتي ، التقى فيها مع الأشقاء من الجنوب ولهم في قلبي أعز مكان .. واشهدهم بحقوقهم ووحدة وطنية تقرر الاعتماد عن الاستعمار البريطانى ، والاتحاد مع مصر . وصدق ايماني في أن المصري والسودانى لا يمكن للاستعمار أن يفصل



بينهما . "

هذا ما جاء في كتاب الرئيس اللواء محمد نجيب عن قيام الحزب الوطني الاتحادي . ونرجع الى الاستاذ خضر حمد يحدثنا عن أول انقسام يقع فيه بعد انشائه ، يقول :-

بدأنا باجتماع لهيئة الحزب بعد أن هدأت الثورة على التكوين ، وأخذنا نفرض البنود التي وافقنا عليها ، وما يتفاوض المصريون والانجليز عليه .. وسعينا للحصول على تأييد الهيئة العامة أولاً ، قبل أن نشرح ذلك الاتفاق للجماهير في الليالي السياسية بالعاصمة والاقاليم

" وكان اجتماع الهيئة ماضياً ، ووقف يعارض الاتفاقية جناح فيسسه السادة أحمد خير ، وخضر عمر ، وحسن أبو جبل وآخرون من الاخوان اعضاء الهيئة واللجنة التنفيذية . وجلسنا الساعات الطوال لشروح الاتفاقية ، ندافع عنها ونقول أنها خطوة سليمة .

" أما المعارضون فكانوا يقولون أنها خدعة انصرافية ، وأن الطريق الى الحرية هو طريق الكفاح والنضال ، لا طريق المهادنات ، وأن الانجليز لا يحترمون ميثاقاً ، واخيراً أخذ الرأي بالموافقة فخرج المعارضون على الحزب . "

وهكذا اعتزل السيد أحمد خير العمل السياسي الحزبي .. كمسماً اعتزله في تلك المرحلة أيضاً السيد خضر عمر الذي هاجر للعمل في المملكة العربية السعودية .. وكان من آثار هذا الابتعاد أن لم يترشح السيد أحمد خير لعضوية البرلمان خلال انتخابات الحكم الذاتي وبالتالي لم يتقلد منصباً وزارياً ، ونأى بنفسه عن العاصمة ، وانصرف السى نشاط مكتبته في المحاماة بالتفيل الأزرق وكردفان .

وعقب اعلان الاستقلال في عام ١٩٥٦ نقل مكان عمله الى الخرطوم وطلب اليه أن يرأس اللجنة القومية لرسم الدستور الدائم للسودان

فاستجاب ، وانكب على تلك المسئولية العظمى بصرفها ، رغم  
العقبات والاطماع التي كانت تقعد بالجنة القومية .

وشهد عام ١٩٥٨ سلسلة من الانقلابات والاضطرابات في كثير من  
اقطار العالم الثالث والدول المحيطة بالسودان ، نذكر منها انقلااب  
بورما وانقلاب باكستان وانقلاب العراق بزعامة عبد الكريم  
وعبد السلام عارف الذي ثل العرش هناك وقتل السياسيين البارزين في  
ذلك البلد العربي الشقيق ، ومارس كثيراً من الاعمال الوحشية التي  
تقتصر لها الأبدان كالسحل وما اليه .

وخشي بعض كبار المواطنين ، والاستاذ أحمد خير منهم ، على  
السودان أن تمتد اليه موجة الانقلابات تلك ، خاصة بعد أن تأكد دور  
الولايات الامريكية فيها . وتألقت لجنة للتوسط بين الأحزاب السياسية  
لانشاء حكومة قومية ، تنتظم الأحزاب كلها ، وتعمم السودان من شر  
الانقلابات . وكان يحكم السودان في ذلك الوقت حكومة ائتلافية  
جناحهاا الرشيان حزب الأمة وحزب الشعب الديمقراطي الذي كان قد  
انسلم عن الحزب الوطني الاتحادي ، بمباركة الطائفة الختمية .  
وبذلت هذه اللجنة القومية جهوداً جبارة لبلوغ غايتها ، ونالست  
التأييد من كثير من قادة الأحزاب السياسية . وكانت الحكومة  
الائتلافية قد تلقت تقارير من القاهرة عن لقاء زعم أنه تم فيه بين قادة  
الحزب الوطني الاتحادي وحزب الشعب الديمقراطي بحضور الرئيس جمال  
عبد الناصر ، رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، تم فيه الاتفاق على  
الاطاحة بحكومة السيد عبد الله بك خليل ، رئيس الوزراء ، واعلان  
الاتحاد مع مصر ، وكانت العلاقة بين عبد الله بك خليل وحلفائه من  
قادة شعب الشعب الديمقراطي ، خاصة رئيسه السيد علي عبد الرحمن  
الأمين ، متوترة بسبب العراقيل والعقبات التي كان يضعها حسمزب  
الشعب أمام نشاط اللجنة الوزارية للدستور ، وبسبب الميول الاتحادية  
التي كان يتميز بها ، وبسبب رفضه للمعونة الامريكية .

ولزاء هذه الظروف ، والمشاكل التي كانت تفقد بالحكومة عن أدا .  
واجبها ، من اضرابات النقابات العمالية ، واعتداد شوكة التمرد في  
المديريات الجنوبية ، وتردى الأوضاع الاقتصادية بسبب كساد سوق  
القطن ، المحصول النقدي الرئيسي للبلاد ، مما انعكس سوءاً على  
تعمير امتداد المناقل وفق الخطة المرسومة له ، رأى رئيس الوزراء ،  
عبد الله بك خليل ، وقد كان أيضاً وزيراً للدفاع ، أن يسحب البساط  
من تحت اقدام السياسيين ويلقى باعباء الحكم على قادة الجيش אשר  
انقلاب عسكري يعلنونه ، يعطل الدستور المؤقت ، ويحل الأحزاب  
السياسية ، والبرلمان ويعطل الصحف .

يحدثنا عن هذا الانقلاب ودوافعه السيد علي عبد الرحمن الأمين ،  
رئيس حزب الشعب الديمقراطي وشريك حزب الأمة في الحكومة الائتلافية ،  
يحدثنا في كتابه " الديمقراطية والاشتراكية في السودان " فيقول :-

" كان الخلاف بين الحزب الوطني الاتحادي وحزب الشعب  
الديمقراطي قد بلغ ذروته ، وصادف أن زرت القاهرة مع المرحوم  
الدكتور أمين السيد ، وزير الصحة ، في أثناء وزارة عبد الله خليل  
الائتلافية في مهمة رسمية انتدبنا من أجلها السيد عبد الله خليل  
نفسه . وصادف أن زار المرحوم السيد اسماعيل الأزهرى ووفد من قيادة  
حزبه القاهرة أثناء جولتهم في البلاد العربية ، ولم نجتمع في القاهرة  
الأ في حفل مشترك دعانا اليه سفير السودان بالقاهرة في منزله ، وحفل  
آخر دعانا له المرحوم محمد صالح حرب ، وعضوه معنا السفراء  
السوداني أيضاً . ولم يدر في الحفلين إلا الحديث العادي المشترك ،  
ولكن السفير الأمريكي بالقاهرة كتب الى زميله بالخرطوم يخبره أن قادة  
حزب الشعب الديمقراطي ، وقادة الحزب الوطني الاتحادي اجتمعوا  
اثناء وجودهم بالقاهرة واتفقوا على التضامن من داخل البرلمان لاسقاط  
وزيرة عبد الله خليل ، وتأليف وزارة ائتلافية منهما تقرر الوحدة بين  
السودان والجمهورية العربية المتحدة ، وأن الرئيس جمال عبد الناصر

وراء هذا الاجتماع ، فذهب السفير الأمريكى بالخرطوم للسيد عبد الله خليل وأطلععه على هذه الرسالة فدهش عبد الله خليل ، لأنه تلقى نفس نفس الوقت رسالة من سفير السودان بالقاهرة تحمل اليه الخبر ، مما جعل عبد الله خليل يسارع فيجتمع بالسيد عبد الرحمن المهدي وكبار رجال حزب الأمة لاطلاعهم على النبأ الخطير ، لم يمض على ذلك يسوم أو يومان حتى اجتمع في جناح الظلام حزب الأمة والفريق ابراهيم عبود ، وثلاثة من كبار ضباط الجيش ، واتفقوا على أن يسلم عبد الله خليل زمام السلطة لعبود ورفاقه ، وأن يعم ذلك في شكل انقلاب عسكري ، على أن يتولى الجيش الحكم فترة من الزمن يحل فيها البرلمان ، ويحل جميع الأحزاب ، وبعد أن تستقر الأمور يرجع الجيش الى ثكناته . . "

هذا ما سجله السيد على عبد الرحمن في كتابه نوره بنمه ، ولكن يجب علينا أن ننبه الى أن الخصومة بينه وبين عبد الله بك خليل كانت على أشدها رغم تعاونهما في الحكومة ، والتنافس بين الطائفتين الدينيتين ، الأنصار والختمية ، كان قد أطل من جديد بسبب ما اشيع حول تطلع سيادة المهدي لتقلد منصب رئاسة الجمهورية . وعليه فيلزم أن يؤخذ حديث السيد على عبد الرحمن بشئ من الحذر .

مهما يكن من أمر فقد استطاع عبد الله بك خليل أن يقنع قيادة الجيش في الخرطوم ، الفريق ابراهيم عبود ، القائد العام ، واللواء أحمد عبد الوهاب نائبه ، واللواء حسن بشير نصر ، رئيس هيئة الأركان وغيرهم من كبار الضباط ، بالاقdam على هذه الخطوة على أن تكون حكومتهم ممثلة لمآثر الاتجاهات السياسية ، ذات برنامج محدد الأجل تعود بعد تنفيذه الحياة المدنية من جديد .

وفي فجر يوم الانقلاب ، السابع عشر من نوفمبر ١٩٥٨ ، استدعى قادة الجيش الأستاذ أحمد خير من منزله ، واطلعوه على ما اعتزموا القيام به ، وطلبوا منه أن يعمل مستشاراً قانونياً لهم أول الامر .

وكان سيادته في ذلك الوقت ضيق الصدر بالأوضاع العامة في البلاد ، شديد الخشية على مكاسبها ، فاستجاب للرجاء . وكان قد التقى بالفريق ابراهيم عبود في جوبا حين ذهب اليها ليشترك في هيئة الدفاع عن الضباط والجنود الجنوبيين المتمردين . وقد كان الفريق عبود رئيساً للمحكمة العسكرية التي مثلوا للمحاكمة أمامها .

وفي الموعد المحدد لبدء نشرة انباء الصباح فوجئ المواطنون في جميع انحاء السودان بموسيقى عسكرية ينقل لهم المذيع الحاسها . ثم بصوت الفريق ابراهيم عبود يتلو عليهم البيان التالي الذي رأيناه أن نشبته هنا ليطلع عليه من لم يفعل من أبناء الجيل الجديد .

قال :-

" كلكم يعلم ويعرف تماماً ما وصلت اليه حالة البلاد من سوء وفوضى وعدم استقرار للفرد وللجموعة ، وقد امتدت هذه الفوضى التي أجهزها الحكم والمرافق العامة بدون استثناء ، كل هذا يرجع أولاً وأخيراً الى ما تعانيه البلاد من الازمات السياسية القائمة بين الأحزاب جميعاً ، كل يريد الكسب لنفسه بشتى الطرق والاساليب المشروعة منها وغير المشروعة ، وباستخدام بعض الصحف والاتصال بالسفارات الاجنبية ، وكل ذلك ليس حياً في املاح السودان ، وحفظ استقلاله وتقدمه ، ولا رغبة في صالح الشعب المغتفر لفقوت الضروري ، ولكنه جريماً شديداً وراء كراسي الحكم والنفوذ والسيطرة على موارد الدولة وامكاسياتها . وقد طال وكثر ذلك ، وصيرنا على تلك الحكومات الحزبية حكومة تلو الأخرى آمليين أن تتحسن الأحوال ويسود الاستقرار ، وتطمئن النفوس ، وتزول الكراهية الكامنة في النفوس والقلوب ، ولكن مع الأسف الشديد لم تزد الحالة إلا سوءاً على سوء فننظف صر كل محب لسلامة السودان ، وشكا كل فرد من تدهور الحالة وما آلت اليه البلاد من الفوضى والفساد حتى كادت البلاد أن تنزوي في هاوية سحيقة لا يعلم مداها إلا الله .

"ونتيجة لذلك ، وهو المملك الطبيعي أن يقوم جيش البلاد ورجال الأمن بإيقاف هذه الفوضى ، ووضع حد نهائي لها ، وإعادة مسس والاستقرار لجميع المواطنين والنزلاء . والحمد لله قد قام جيشكم المخلص في هذا اليوم السابع عشر من نوفمبر ١٩٥٨ بتنفيذ هذه الخطة السليمة المباركة والتي باذن الله ستكون نقطة تحول من الفوضى الى الاستقرار ، ومن الفساد الى النزاهة والأمانة . واني واثق بأن كل مخلص لهذا البلد سيتقبلها بمدر رحب .

أيها المواطنون

"اننا إذ نقوم بهذا التغيير لا نرجو وراء ذلك نفعاً ولا كسباً ، كما اننا لا نضر لأحد عداً ، ولا نحمل حقداً ، بل نسعى ونعمل للاستقرار واسعاد الشعب ورفاهيته ، ولذا فأسئ اطلب من جميع المواطنين أن يلزموا السكينة والهدوء ، كل يقوم بعمله باخلاص تام للدولة ، الموكلف في مكتبه ، والعامل في مصنعه ، والمزارع في حقله ، والتاجر في متجره .

"وبما أن قوات الأمن قد تسلمت مقاليد الحكم ، ولكي تستطيع أن تقوم بمهمتها خير قيام فأنتى أمر بالآتى وأن ينفذ فوراً :-

١ - حل جميع الأحزاب السياسية

٢ - منع التجمعات والمواكب والمظاهرات في كل مديريات السودان

٣ - وقف الصحف حتى يمدد أمر ، ذلك من وزير الداخلية

ان سلطات الجيش تطلب من جميع المواطنين تنفيذ ذلك بروح طيب كما انها تنذر الذين تحدثهم أنفسهم بالاحلال بالأمن أنها لن تتوانى قط في توقيع الجزاءات المارمة الرادعة عليهم .

"وقبل أن اختتم كلمتى هذه أود أن اطمن السادة السفراء وفناصل الدول

والجاليات الأجنبية على سلامة أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم ، كما  
وانه بطيب لى أنؤكد بأن السودان الحر المستقل سيبنى علاقاته مع  
جميع الدول عامة والعربية الشقيقة خاصة على أساس من الاحترام والسود  
وتبادل المنفعة . أما شقيقتنا الجمهورية العربية المتحدة فنعمم  
جاهدين لتحسين العلاقات ، وحل جميع المسائل المعلقة ، وإزالة  
الجفوة المفتعلة التى كانت تسود البلدين الشقيقين .  
" وختاماً أسأل الله التوفيق وللشعب كله الاستقرار والأمن والرفاهية  
والسلام عليكم " .

ومما يجدر ذكره أن الاستاذ أحمد خير لم يشترك فى اعداد هذا  
الخطاب ، ولم يعلم عنه شيئاً حتى موعد اداعته .

وأصدر الفريق عبود رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة ثلاثة  
أوامر دستورية الأول منها يضع السلطة الدستورية العليا فى المجلس  
الأعلى للقوات المسلحة ، ويحول هذا المجلس فى نفس الأمر الدستوري  
لرئيسه جميع السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية وقيادة الجيش .

أما الأمر الدستوري الثانى فقد حدد أسماء رئيس واعضاء المجلس  
الأعلى للقوات المسلحة ، والأمر الثالث عين فيه مجلساً للوزراء تحت  
رئاسته يتألف من ستة من كبار العسكريين وهم جميعاً أعضاء فى  
المجلس الأعلى ، وخمسة وزراء مدنيين أحدهم الاستاذ أحمد حسين  
الذى تقلد أمر وزارة الخارجية .

وأصدر المجلس الأعلى بعد هذا اوامر أعلن فى أولها حالة الطوارئ  
فى جميع أنحاء السودان وعين القادة العسكريين فى الاقاليم حكماً  
عسكريين ، يعمل مديرو المديرية من الإداريين تحتهم ، وأعلن فى  
ثانيها عن تعطيل الدستور المؤقت وحل البرلمان وفى الثالث وقسم  
الصحف والنشرات الاخبارية ودور الطباعة الى حين صدور أوامر أخرى من  
المجلس الأعلى للقوات المسلحة .

وظل هذا الحكم قائماً ست سنوات حتى كانت ثورة أكتوبر ١٩٦٤ التي  
اطاحت به . وقد تعرض الأستاذ للاعتقال بعد الثورة فترة محدودة ثم  
اطلق سراحه .

ولم يكن نشاط الأستاذ أحمد حير قاصراً على وزارة الخارجية وحدها،  
بل استطاع أن ينشئ علاقات قوية مع الوزراء الآخرين وأن تكون له  
بهذا كلمة مسموعة فيها .



# السودان يعترف بالصين

للمره أن يتساءل عن الأسباب التي حملت الاستاذ أحمد خير للتعاون مع الحكم العسكري في نوفمبر من عام ١٩٥٨ ، وهو الرجل الذي كان مكانه بين قادة التحرير ، ورواد الديمقراطية الصدارة .

لماذا قبل العمل في نظام عسكري وهو الذي عرف عنه طيلة حياته السياسية ايمانه بحرية الرأي ، وتمسكه برأيه المستقل ، والدفاع عنه ، وعن حقوق الآخرين في التعبير عن آرائهم ، مهما كان اختلافهم معه ؟ ما كان أسهل عليه ، وهو صاحب فكرة مؤتمر الخريجين العام وبناته ، وصاحب الأفكار الثورية الأخرى الكثيرة في خدمة المجتمع ، والأخذ بيده في مدارج النهضة والتقدم ، أن يسامر التيار ، ويحظى بوضع متميز ، ومنصب رفيع في الأحزاب التي التفت حول المؤتمر في النضال ضد المستعمر لانتزاع الحرية ، وبلوغ الاستقلال .. ولكنه لم يفعل ذلك رفضاً منه للهيمنة الطائفية .. التي كانت تخضع لها احزابنا السياسية الكبرى .

انه لم يذكر الاسباب التي دفعته للتعاون مع الحكم العسكري .. ربما لأنه لم يسهل عنها .. ولكننا ، استقراء للاحداث ، نستطيع أن نستنبط سببين رئيسيين قد تفسران لنا دواعي ذلك التعاون .. أولهما الضغط والباس الذي اعمره وهو يرى الأحزاب تتكالب على مقاعد الحكم من أجل الوجاهة والجاه والنفوذ .. لا سبيلاً لخدمة الناس ، والسيوف بمستوى الحياة بينهم ، كما تقتضي المبادئ الديمقراطية السليمة ..

وثانيهما افتقار الحكومات الحزبية الى الجدية في معالجة قضايا الجماهير الأساسية ، رغم التضحيات الجسيمة التي قدمتها لتبليغ القيادات الحزبية الى مراكز السلطة .. ولعل ما حينا قد اعتقد أن النظام العسكري يبعده عن المناورات والدشاش والمفاسد الحزبية ، يتيح للمتعاملين معه فرساً أعظم للممثل على حل قضايا الجماهير . ومثل هذا التفكير كان - ولم يزل - سائداً في العالم الثالث الذي ظل خلال العقدين أو العقود الثلاثة الماضية ، تتجاذبه النظم الجبرائية ، والعسكرية ، والشمولية .

ويمكن القول أيضاً بأن الاستاذ أحمد خير لم يكن يقبل لقيام الأنظمة العسكرية أو بقائها ، ان هي لم تكن تملك أسباب النجاح لحسب القضايا الأساسية للجماهير ، عن طريق التنمية والتقدم ، والدليل على هذا أنه هو اهتمامه الذي لا تحده الحدود بمشاريع التنمية ، وتوظيفه لكل طاقاته في وزارة الخارجية ، وهو وزير لها ، لدفع عجلة التنمية في السودان خطوات الى الأمام .

ونستعرض نشاطه في هذه الوزارة ونستقصيه .. فنقرر أولاً أنه تولي مسئولياته فيها وهو مسلح بأهم الأسباب التي تؤدي الى النجاح ، فقد كانت له من امكانياته الفكرية ، وقدراته العملية ، وسعة اطلاعه ، وذكاؤه ما يواهم مكاناً ملحوظاً في الحركة الوطنية منذ مناداته بقيام مؤتمر الخريجين العام في سنة ١٩٢٧ ، وما بذل من جهد صادق لوضع الفكرة موضع التنفيذ .

ومن ناحية أخرى ، فقد حمل معه الى هذه الوزارة معارفه وتجاربته المتعددة ، إذ كان - بحكم تدريبه - من كبار رجال القانون ، درس النظم الغربية ، والشريعة الاسلامية ، وامتاز فوق هذا بثقافة عربية وغربية واسعة ، مما كانت تعكسه اسهاماته في محاضرات الجمعية الأدبية بواد مدني ، ومن ثم نشاطاته السياسية في الخرطوم ، عندما

نزع اليها ، ليس هذا وحده ، بل هو قد حمل معه الى وزارة الخارجية تجربة ربع قرن من النضال ضد الاستعمار .  
يقول السيد عبد الله الحسن الحضر ، الوزير والسفير السابق الذي عمل مع الاستاذ أحمد في وزارة الخارجية عن قرب :-

" كانت هذه المزايا كافية لتتزع له التقدير والاحترام من الدبلوماسيين السودانيين ، وقد كانوا هم النخبة الممتازة تأهيلاً بين المثقفين السودانيين . ولكن أحمد خير لم يكن ليكتفى بهذا ، بسبل اختط أسلوباً جديداً ، جعل كل من يعمل في الوزارة من الدبلوماسيين بهذا المعنى ما لديه من جهد ، ليبلغ المستوى الذي حدده الوزير .

" لقد وضعت أبعاد طاقاته وقدراته وخبراته بعد أن تولى أمباء وزارة الخارجية مباشرة .. ولم تكن تلك الوزارة لتستوعب وحدها كل تلك الطاقات الهائلة منه .. اذ اتجه الى مجالات أخرى يستخدم فيها الفاضل من طاقته .. كان يساعد في وزارة الاستعلامات التي كان صديقه ، منذ أيام مؤتمر الخرطوم العام ، محمد عامر بشر (موراوي) مديراً لها ، ويشترك في تحرير صحف الحكومة ، ويتوجه بالسر إلى والدمع الى بعض زملائه وقرانه من الوزراء ، ويعمل مستشاراً دائماً لرئيس الحكومة ، دون أن ينتقل هذا الجهد شيئاً من ادائه في وزارة الخارجية ، بل كان ذلك منه حافزاً للدبلوماسيين لتقديم أفضل ما يملكون من عطاء ..

" كان أكثر الناس عملاً .. يمضي ساعاته النهار في مكتبه .. ويعود اليه ليلاً بعد أن يفرغ من طوائفه على زملائه الآخرين ، وتداوله معهم في كثير من الشؤون العامة ، وينكب على الملفات يطلع على ما فيها ، لا يفادر مكانه حتى يفرغ منها كلها ، حتى اذا ما جاء الصباح عاد كل ملف منها الى مكتبه .. وكان لهذه القدوة الحسنة منه أثر طيب في تحسين الأداء في وزارة الخارجية في سائر مناسبتها ، مما كان مثار

اعجاب العاملين بها ، وكان دقيقاً في فحص التقارير والمذكرات ، يعلق عليها في الهوامش ، ويضع الخطوط تحت الفقرات الهامة منها ، ويحدد صياغة الجمل الركيكة ، ويختار الكلمات والألفاظ بدقة متناهية ، فلا تحمل شيئاً غير المعنى المقصود ، ويصحح الأخطاء النحوية فسيح كثير من الأحوال . وفي النهاية كانت ملاحظاته المقتضيه مليئة بثقة قليلة مشبعة بأعظم المعاني ، تثير الاعجاب والتأمل .

"وكانت معالجته للعمل في وزارة الخارجية ، بالإضافة الى جودة الأداء ، تفصح عن سعة اطلاعه ، وغزارة معرفته ، وحبه للتجويد والاثقان ، ولم يكن يبخل على نفسه بمعرفة الآخرين وخبرتهم ، بسبل يسعى للحصول على آرائهم في المسائل الهامة . وكان له أسلوب فريد في ذلك ، لعله اكتسبه من ممارسته لمهنة المحاماة دهرأ طويلاً ، فهو بالإضافة الى قدرته على الاستماع ، كان يتخذ رأياً معارضاً لما تقدمه له الوزارة ، ليؤم بذلك السبيل - من خلال الجدل - على كل الحجج ويمتصر كل الآراء . وكان الدبلوماسيون قد ترجموا بعض الحركات التي كان يبدونها اثناء الحديث الى لغة ذات معان محددة ، لا تحتاج الى كلمات . فمن الخير لك أن تبحث عن رأي آخر غير ما ذكرت اذا هو رمقك بمنظرة شذراء ، أو تدرك أنه يسخر منك اذا حك ذقنه ، أو تفادى المكتب اذا شمر عن ساعده . ومع هذا فقد كان يستجيب للدعابة البريئة ، والمكثة الذكية .

"وكان مكتب أحمد خير مفتوحاً لكل العاملين في الوزارة مسسمن دبلوماسيين وغيرهم من الموظفين ، ورغم ما اشتهر به من أنه لا يطبق الانبياء والبلباء ، فقد كان زواره يجدون لديه أدناً صاغية ، ودعائفاً ملحوظاً نحو الحق والعدل . .

لقد كان يولى قضية التنمية أكبر اهتماماته ، أولاً باستخدامه لوزارة الخارجية كقناة أساسية لاستقطاب العون الخارجى ، ثم بالتعاون مع الوزارة المسئولة عن هذا النشاط . وكان له أثر ضخم في تنفيذ

المشاريع الرئيسية التي قامت في ذلك العهد ، كخزان الروصيرص ، ومشروع المناقل ، وبعض الصناعات الاستراتيجية ، ومن هذا المنطلق ايضاً نجد التفسير لانهياره للغرب باعتباره الأكثر قدرة على المون في حل قضايا التنمية ، ولكن هذا الانحياز لم يمنعه من التعامل مع الشرق ، والانتفاع منه ما وجد الى ذلك سبيلاً . واني لاذكر لقائي به مع بعض العاملين معه في وزارته ذات ليلة بمدينة نيويورك عام ١٩٦٢ ، حين زارها لرأس وفد السودان لاجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة . . وكان مقررأ أن يلقي خطاب السودان أمام تلك الجمعية ، وسألته عن المسائل التي يعترم تناولها في خطابه . . فرد قائلاً : .

المألوف من الكلام المكرور . . التفرقة المنصرية في جنوب افريقيا . . القضية الفلسطينية . . سياسة عدم الانحياز . . نوع السلاح . . وغير هذا مما تردده الاسطوانة المكسورة . . وان اردت الاستزادة فسل مؤلفي الخطاب ، فيها هم اولاه معنا . .

وقلت له : ولماذا تشترك في تكرار هذه المعزوفة التي لا تجيد الانشاد بها ؟ لماذا لا تحركها لفيرك من العارفين وهم أكثر ؟

قال : وماذا تريدني أن افعل . . ؟

قلت : أن تحدث الأمم المتحدة عن خطة التنمية التي أعدتها حكومتك ، فترفع بهذا منك أسباب الضيق والعلل من نفوس مستمعيك بتقديم شيء جديد لهم ، وتناشدهم أن يمدوا للسودان يد العون لتنفيذ هذه الخطة . واستجاب في الحال " وفي حماسة فائقة . .

وفي اليوم التالي مزق الخطاب التقليدي المألوف . . وأنكب مسرع زملائه على اعداد خطاب عن خطة السودان الإنمائية انزعز التقديرات والاعجاب ، وحظي باهتمام عظيم من أجهزة الاعلام الدولية .

وبمناسبة زيارته لنيويورك تلك ، نقرر أنه كان يقيم في كل مدينة أجنبية تقوده لها أسباب العمل ، مع السفير السوداني في بيته ، لا في الفنادق الفاخرة ، على سقيض ما يفعل الوزراء الآخرون .. وكانت إقامته مع السفراء هذه تتيج له أن يتعرف عليهم ، وعلى أعوانهم على كتب .. وكان متصوفاً قسواً ، لا يغشى الأسواق ، ولا يشغل نفسه بغير عمله .. يرتدى من الملابس أبسطها ، ويبتعد عن الأنواء .

وكان من أهم المنجزات السياسية في عهده كورير للخارجية ، اعتراف السودان بالصين الشعبية .. وكانت هذه القضية قبل قيام الحكم الممكوري مثار خلاف بين الأحزاب السودانية وجدل شديد .. الاتحاديون ينادون بضرورة الاعتراف بالصين كقوة مناهضة للاستعمار ، وحزب الأمة يغفل التريث حتى يتم قبولها في الأمم المتحدة ، واثرت القضية داخل الوزارة عند طرح السياسة الخارجية للنظام الجديد .. ودار حولها جدل كثير .. وكذابه دائماً كان يحس الاستماع دون أن يظهر من الحماسة شيئاً .. ولكنه دافع عن اقتراح الاعتراف بالصين داخل المجلس الأعلى للقوات المسلحة دفاعاً قوياً ، فانما ذلك المجلس لنصح ، وقرر الاعتراف ، وكان هذا دون شك إنجازاً هاماً بالنسبة للسودان ، تحقق له بسببه الكثير من الإيجابيات ، وانفتحت آفاق واسعة لتعاون مثمر بين البلدين .

وكانت المرحلة التي تولى فيها شأن وزارة الخارجية مرحلة التحرر في أفريقيا ، إذا لم يكن قد استقل من أقطارها غير نحو من اثني عشر قطراً عندما استولى الجيش على الحكم في السودان .. وخلال فترة هذا الحكم قامت منظمة الوحدة الأفريقية ، وتحررت سائر الأقطار الأفريقية باستثناء المستعمرات البرتغالية وجنوب أفريقيا ، وكان السودان قد قدم دعماً أكيداً لحركات التحرر في القارة ، وكان المنفذ الوحيد للمناضلين فيها إلى الخارج .. وكان هؤلاء المناضلون من أمثال

جشوا انكوموا ، قائد الكفاح في روديسيا ، وسام نجوما من ناميبيا ،  
وغيرهم يحصلون على أوراق شجوية ودعم مالي من السودان قبل سفرهم  
الى خارج القارة .. وكانت افريقيا في هذه الفترة تزخر بالعمالقة من  
الرجال الذين وهبوا أنفسهم للكفاح من أجلها ، جمال عبد الناصر ،  
وكوامي نكروما ، وبن بلا ، وماديبوكيتا ، ومحمد الخامس  
وسيكو توري .. وكان أحمد خير واحداً منهم ، لم يبخل على هذه  
الغاية الشريفة بجهد ولا مال . يذكر له التاريخ موقفه من قضية  
استقلال الكنفو في عام ١٩٦٠ عندما أراد الاستعمار أن يعمل عليها  
اقليم كاتنغا الغني بالمعادن ، ويخضعه لسيطرته . وكان أحمد خير  
في ذلك الوقت يمثل بلاده في مؤتمر للدول الافريقية المستقلة بأديس  
أبابا .. وجاءهم نبأ الاضطرابات التي اجتاحت الكنفو بسبب هذه  
الاطماع الاستعمارية .. فما كان منه الا أن أوضح لزملائه من المؤتمرين  
ما تنطوي عليه تلك الاحداث من تهديد للأمن العالمي ، مما يستدعي  
من الأمم المتحدة التدخل .. واقترح على المؤتمر أن يبعث بترقية  
للسكرتير العام للمنظمة بحث فيه على تدخلها . فاستجابت الأمم المتحدة  
للرجاء ، وتدخلت في الأمر ، وتمكنت بذلك من الحفاظ على وحدة  
الكنفو.

وفي خلال عهده بوزارة الخارجية قام بزيارات لكثير من الدول في  
الشرق والغرب ، وكان عضواً بارزاً في الوفود الرسمية التي يرأسها  
الفريق ابراهيم عبود ، زار الولايات المتحدة زيارة رسمية في عهد  
الرئيس الامريكى جون كينيدي ، واكتسب بفعالية في المحادثات التي  
اجراها الفريق عبود مع حكومتها .. مما أسفر عن خير كثير ، لاسيما  
في مجالات التنمية ، وزار الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية والمملكة  
المتحدة وغيرها ، وكانت كلها زيارات ناجحة ذات نتائج طيبة

وفي اكتوبر من عام ١٩٦٤ شهدت بلادنا انتفاضة شعبية اطاحت  
بالحكم العسكري ، فخلد صاحبنا للراحة ، وابتعد عن النشاط السياسي

بعض الوقت ، وانصرف الى عمله في حقل المحاماة ، يتعاون فيه مع زميله وصديقه الاستاذ زيادة عثمان لأرباب ، الذي كان وزيراً للمعارف والعدل في حكومة الفريق عبود .

ولما وقع الانقلاب العسكري الثاني في الخامس والعشرين من مايو اتخذ منه موقف الرفض والمعارضة والعداء منذ يومه الأول ، وكان كعادته دائماً شجاع الرأي ، قوي اللسان ، لا تأخذه فيما يعتقده حقاً لومسية لائم ، ولا يرحمه شيء ، لم يحفل بالاعتقال ولا بالسجن وقد أكثر ذلك النظام الاستبدادي الظالم من اعتقاله دون أن يقيم وزناً لكبر سنه ، ولا لسابقته في خدمة السودان ، وكان هذا الاعتقال لايزيده إلا رفضاً لذلك الوضع ، وانكب خلال اعتقاله في سجن كوبر بالخرطوم بحري على كتاب الله الكريم بحفظ ١٣ جزءاً منه عن ظهر قلب ، وعلى واجباته الدينية يؤديها على خير ما يكون الاداء ، في خشوع وتجرد .

اشتهر أحمد خير بين اصدقائه ومواطنيه بقوة الفكر ، وامانة الرأي ، وسعة الاطلاع ، وسرعة البديهة ، والزهدي في متاع الحياة الدنيا ، يضحك للثكنة الذكية ، ويستمتع الى القمة الطريفة ، ويجادل الناس بالتي هي أحسن ، بيته مفتوح ، وكرمه فياض ، وحديثه شهي ، له اسرة يفرحها بمطعمه وحبه ، وتحيطه بولائها واحترامها



## استدراك

جاء في الصفحة الخامسة عشرة من هذا الكتاب أن اللقاء الأول بين الاستاذ أحمد خير والسيد / حسن أحمد عثمان الكد كم بعد نقله الرومير من للعمل فسى في كليه غردون . وحقيقه الأمر هو أن السيدين / حسن وحسين أحمد عثمان كانا من دفعة الأستاذ / أحمد خير في كليه غردون وأن اواخر الصداقة بينهم لمست وترعرت منذ ذلك الوقت بالاضافه الى صلة القرى .

يحدثني الاستاذ عثمان حسن أحمد في رساله بعث الى فيقول :-  
كان الاستاذ أحمد خير وصديقه السيد محمد أحمد ابورنات صله ولفترة ليست بالقصيره مع السيدين حسن وحسين الكد وغيرهما من ابناء العباس مع المرحوم اللواء حامد صالح الملك فيما سمي بالصندوق العباسي وأن لم يشتركوا معه فسى حربه .

ويضيف الاستاذ عثمان أن هؤلاء الاصدقاء بالاضافه الى ملتهم بجماعة النوبيان ( THE FABIANs ) فقد كانوا آغفاء في نادي الكتاب اليساري بقرآنون منتجاته بما يثرى عقولهم وثقافتهم .

ويورد نقطه أخرى فيشير الى قولي ان المغفور له الاستاذ عبد الله ميرغني كان من اعضاء اللجنة التي أعدت مذكرة المؤتمر عام ١٩٤٢ وبصح هذا قاشلاً أن الذي قام باعداد تلك المذكرة في حقيقة الأمر هو المغفور له الاستاذ أحمد يوسف هاشم . ويشير بعد هذا الى الدور البارز الذي لعبه الاستاذ أحمد خير في تأليف وفد السودان لمعاهدات القاهرة عام ١٩٤٥ من سائر الاحزاب وعين مجيئه من مدني مع وفد يشتمل على السادة المغفور لهم الشيخ محمد أحمد محمد والشيخ عبد الله ابراهيم ابوسن والاستاذ محمد أحمد محبوب لخدمة هذه الغاية ، والى ما بذلوا من جهد في تكوين لجنة الاحزاب المؤتلفة بقيادة المغفور له السيد عبد الماجد أحمد .

هذا بعض ما لفت نظري إليه الاستاذ عثمان حسن أحمد في رسالته ، وإنسى ان انشره في مؤخره هذا الكتاب اعتذر عن الاخطاء وأقرر أن هذا الكتاب أعمد على عجل ، ولعلنا نتمكن من ملافة ما فيه من نقص مستقبلا . وعند اللـــــــــــــــــه التوفيق ...

## محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
تمهيد	٣
مقدمة	٥
الفصل الأول - المولد والنشأة	٧
الفصل الثاني - العمل في دواوين الحكومة	١٤
الفصل الثالث - من واد مدني الى كسلا	٢١
الفصل الرابع - معاهدة ١٩٢٦. والسودان	٣٠
الفصل الخامس - قيام مؤتمر الخريجين العام	٣٧
الفصل السادس - التعليم الأهلي	٤٣
الفصل السابع - مذكرة المؤتمر	٥١
الفصل الثامن - السودانيون ومفاوضات القاهرة	٦٢
الفصل التاسع - انقلاب نوفمبر ١٩٥٨	٧٠
الفصل العاشر - السودان يعترف بالصين	٨٢